الغيداء

Al-Ghaidaa

العدد التاسع والثلاثون صيف 2012 - تصدر عن مركز شؤون المرأة - غزة

شوكولاتة مسروقة..!

فاطمة.. حكاية حرب.. وقصة نجاة

التراث .. صورة ناطقة تحيكها نساء فلسطين بخيوط التطريز

فصلية الغيداء

تعنى بشؤون النساء في فلسطين

تصدر عن مركز شؤون المرأة - غزة

المدير العام

نائلة عايش

غزة - النصر - شارع اللبابيدي

Tel: 2877311 - 2877312

Fax: 2877313

الإشراف العام

آمال صيام

سكرتيرة التحرير

سمر الدريملي

هيئة التحرير

محمد أحمد

نسرين الرزانية

تدقيق لغوى

محمد السويركي

إخراج وتصميم

شريف سرحان

صور فوتوغرافية

سمر أبو العوف

الافتتاحية ---------- 4

أدوات وتراثيات فلسطينية مفقودة من المنازل ومحفورة في الذاكرة..! ---------- 5

التراث .. صورة ناطقة تحيكها نساء فلسطين بخيوط التطريز ---------- 8

المرأة والنكبة.. ---------- 9

المرأة البدوية تحيك حياتها بـ "بيت شَعَر" ---------- 10

الاختلاط ---------- 11

أول مؤتمر نسائي فلسطيني ---------- 12

نملية أمي..! ---------- 13

في عيون الرجال..المرأة الفلسطينية مناضلة وفائدة فذّة ومثابرة ---------- 14

كنوز غائبة عن وعي المواطن والمسؤول ---------- 16

80 فتاة ينفضن غبار الانقسام والحصار والفقر ---------- 18

آثار غزة.. شواهد على الماضي تشكو الإهمال والتدمير ---------- 20

في ذكرى ديرياسين.. تحية إلى الشهيدة "حياة" ---------- 23

فاطمة.. حكاية حرب.. وقصة نجاة ---------- 24

كاميرا الغيداء ---------- 26

شوكولاتة مسروقة..! ---------- 28

المرأة لازالت بعيدة عن المساواة الكاملة ---------- 30

تغريدات متواصلة وصور وحكايات عن النكبة ---------- 32

ذاكرة صغار فلسطين ترث من كبارها تفاصيل الهجرة ومعالمها ---------- 34

مذكرات زوجة واقعية ---------- 35

العمالة للأعداء.. الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون..! ---------- 36

صحة المرأة بعد الأربعين.. ---------- 38

اعتراف اليونسكو بعضوية فلسطين.. ---------- 40

حتماً.. سأعود..! ---------- 42

لك أنت..! ---------- 43

من هنا وهناك..! ---------- 44

أخبار ونشاطات المركز ---------- 46

على موعد ---------- 50

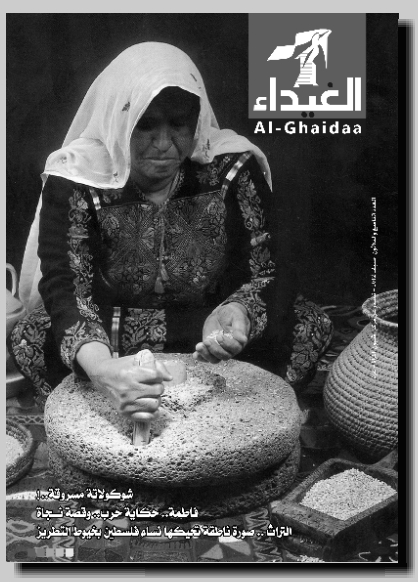

http:// www.wac.ps

نستقبل مشاركاتكم وآرائكم

عبر البريد الإلكتروني

ghaidaa@wac.ps

ملاحظة: الآراء المنشورة في المجلة

تعبر عن وجهة نظر أصحابها

الافتتاحية

"إكسر واحنا بنجبر"..

حال المرأة في مجتمع نسي أن يجبِّر وأدمن على التحطيم..

الأمثال الشعبية هي أحد مكوّنات التراث الشعبي الفلسطيني، وهي على اختلافها وانتشارها؛ تساهم في تكوين ملامح للفكر والوعي السائد في المجتمع، فهي جزءٌ من ثقافته، وتنسجم -إلى حدٍ كبيرٍ- مع عاداته وتقاليده.

وعلى الرغم من أنّ هناك أمثالاً شعبيةً انقرضت وما عدنا نسمع عنها؛ إلا أنّ هناك أيضاً أمثالاً شعبيةً لا زالت متداولةً بالرغم من قِدمها وعدم ملاءمتها للعصر.

وهذه الأمثال لا زالت تُستخدم بنفس صياغاتها أو بكلماتٍ دالةٍ عليها، والمهم أنها تُستخدم في كثيرٍ من الأحيان لنفس الغرض الذي قيلت من أجله؛ رغم اختلاف الزمان والمكان والمواقف.

وعند ما نتذكر الأمثال الشعبية الفلسطينية؛ نتذكر تلك الأمثال التي قيلت في النساء؛ والتي لا زالت تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيلٍ كونها -وإلى تلك اللحظة- لا زالت تنسجم مع ما يصف به المجتمع المرأة، وتنسجم مع الأدوار المنوطة بالنساء من وجهة نظر المجتمع، كما وتنجسم مع ثقافة المجتمع الذكورية التي تنظر للنساء بنظرةٍ مختلفةٍ عن نظرتها للرجال؛ رغم التغيّرات والتحوّلات المختلفة..

"همّ البنات للممات".. "اللي بتموت وليته من صفاء نيته".. "لما قالولي بنت إنهدّت الحيطة عليّ، ولّا قالولي غلام إنسند ظهري وقام".. "المرا لو وصلت المريخ آخرها للطبيخ".. "المرا زيّ السجادة ما بتنظف الا بالخبيط".. "واقلبْ الجرّة على تُمها بتطلع البنت لأمها".. وأيضاً "وراء كل عظيم امرأة"..

هذه الأمثال وغيرها مما يشبهها في المعنى والدلالات لا زالت تحكم سلوكياتنا، إذ ما يزال شغلنا الشاغل للمرأة الحامل (ولد أم بنت) ولا زال دعاؤنا عند أكشاك الولادة (يارب ولد) رغم أننا نعرف مسبقاً أنّ المولود أنثى.. لعلّ وعسى يتغير..!

وهنا يحضرني ذكر تلك الحماة التي كانت تعرف أن كنّتها حاملٌ بأنثى، وقد أثبتت ذلك بالتصوير التلفزيوني ثلاث مرات متتالية، إلا أنه كان عندها إحساساً أنه ولد.. ما أفظع هذا الإحساس، وكأن الفرق بين الخيارين كالفرق بين الجنّة والنار..!

كما ويحضرني ذكر ذلك الرجل الذي أعاد ابنته إلى بيت زوجها بعد أن كانت قد ذهبت إلى بيت أبيها إثر ضربها وشتمها قائلاً: "إكسر واحنا بنجبّر".. تصريحٌ واضحٌ وموافقةٌ صريحةٌ على تعنيف النساء؛ حتى لو أدّى ذلك إلى أبعد من ذلك.. فقدانها لحياتها؛ حتى ينطبق المثل القائل: "إللي بتموت وليته؛ من صفاء نيته".. وحتى "وراء كل عظيم امرأة" الذي يعتقد البعض أنه مثلٌ جميلٌ لصالح النساء؛ إلا أنه لا يرتقي حتى لأن يجعل المرأة إلى جانب الرجل، بل وراءه؛ بمعنى أنها هي التي تدعمه وتدفعه إلى الأمام. -كما يفسر البعض- على العموم؛ فإنّ حديث الأمثال الشعبية والنساء هو حديثٌ طويل؛ ويمكن تلخيصه بأنّ أشياء كثيرةً تغيّرت في الحياة؛ لكنّ أيّ تغييرٍ يتعلّق بالنساء فهو دائماً تغييرٌ بطيءٌ يحتاج إلى تكاتف الجهود.

آمال صيام

إبتسام مهدي

"البابور".. "طاسة الرعبة".. "الجاروشة"..

أدوات وتراثيات فلسطينية مفقودة من المنازل ومحفورة في الذاكرة..!

تراثنا الفلسطينيُّ غنيٌ بأدواتٍ كثيرةٍ كانت تُستخدم في الماضي لتسيير أمور الحياة البيتية واليومية. وبسبب التقدم التكنولوجي صارت تختفي شيئاً فشيئاً؛ إلى أن أصبحت تراثيات منسية يجهلها معظم الجيل الجديد..!

سنعيد لقراء مجلة "الفيداء" في هذا العدد -وعبر هذا التقرير- ذاكرة الزمن الجميل وسننبش في تفاصيل الحياة القديمة؛ لنجوب الأحياء والحواري بحثاً عن تراثيات مفقودة؛ لنربط الجيل الماضي بالحاضر، ونذكر أجدادنا من خلال هذا التراث القيّم.

" أم محمد عاشور" (التي تجاوزت الستين عاماً) حدّثتنا عن "بابور الكاز" والذي إلى اليوم لا تنسى صوته في مطابخ جميع منازل الحارة. فيشتمُ الجميعُ ويعلمون أنّ هناك طعاماً سينضج، حيث كان يتوسط -في الغالب- مطبخ البيت وفوقه طناجر الألمنيوم.

تقول "عاشور": "منذ أن وعينا على الحياة ونحن نستخدم "بابور الكاز" ورغم بساطته؛ إلا أننا كنا جميعاً نشعر به، كأحد أركان المنزل، فإذا لم يعمل يوماً ما أو لم نسمع صوته؛ فمن المؤكد أنّ شيئاً ما ينقصنا، وفي بعض الأحيان كانت تتجمع العائلة لتستدفئ بناره في الشتاء.. ولنبدأ برواية القصص وتبادل الأحاديث التي لا تنتهي، أما الآن؛ فأنا أضعه في صالون بيتي للذكرى..".!

وتذكر أنّ لـ "البابور" في حياتهم حكاياتٌ دافئةٌ في غرفة "القعدة" الضيّقة، ولّمة العائلات، فكانوا يتدافعون لحجز مكان التدفئة لهم قرب "البابور" حيث يُوضع فوق رأسه علبةٌ فارغةٌ وقد تمّ نقرها من الأعلى عدّة نقرات لتوزيع الدفء في أركان المكان، إلى أن يصبح لون النار أزرقاً وتنبعث رائحة الكاز، وعندها ينفد الكاز منه لتبدأ رحلة ملئه بالكاز بواسطة "محقان" ليعود للاشتعال مجدداً..".

وتابع "عاشور": ".كان أكثر ما يزعجنا هو "الشحبار" الذي ينبعث منه، ما يفرض علينا تنظيف أسقف الغرفة أو المطبخ لإزالة ما علق بها من سواد، ولا يقتصر استعمال "البابور" عند حدود الطهي وإعداد الشاي والتدفئة للمنزل؛ بل يتعداه إلى غلي الملابس قبل غسلها، بالإضافة إلى تسخين المياه المخصّصة لاستحمام أفراد العائلة.

وقد تلاشى استخدام "البابور" إلى حدٍ كبيرٍ في فلسطين؛ لكنه عاد للظهور في قطاع غزة؛ الذي يعيش سكانه تحت حصارٍ خانقٍ فرضته إسرائيل عليهم؛ لاسيما مع منع دخول غاز الطهي إلى القطاع..".

أما "محمد العبد" (70) عاماً فقد قال: "رغم صغر حجم "البابور" إلا أنني كنت في كثيرٍ من الأحيان أقوم بإشعاله والجلوس وحدي لتأمّل ناره وسماع صوته الذي يدعو إلى السكينة، وكانت أمي تقوم بإطفائه كلما رأتني.."

وأضاف: ".. في الماضي؛ لم يكن بيتٌ يخلو من "بابور الكاز" فلا يمكن فعل أيّ شيء بدونه، حيث لا يمكن تحضير الطعام أو الشاي أو حتى تسخين الماء للاستحمام، لكن مع ظهور "اسطوانات الغاز" بدأت رحلة نسيان "البابور" بشكلٍ تدريجي؛ فلم يعدْ له وجودٌ إلا في الزوايا المنسية من البيت أو الدكان، فأصبح وكأنه تحفةٌ قيّمةٌ في البيت..".

مصباح نمرة "2 أو3"..!

إلى جانب "البابور" كان هناك مصباح الكاز، وهو أحد المقتنيات التراثية والفلكلورية الأساسية في المنازل، وعن ذكريات الأجداد مع "مصباح الكاز" يقول الحاج "خالد الزهران" (76 عاما): "مصباح الكاز يُعتبر من أساسيات البيت، وكان الناس يتفاخرون فيما بينهم من حيث قياس المصباح؛ هل هو نمرة 2 أو نمرة 3..! وكان يُنصب للمصباح قاعدةٌ خشبيةٌ على أحد جدران البيت من الداخل؛ ليثبّت عليه؛ فتزيّنه بعضُ بيّات البيوت، ويقول: "..لولاه لما حصلتُ على الثانوية العامة..".

"أبو رائد رماس" هو أحد العاملين قديماً في تصليح "البابور" و مصابيح الكاز، يؤكد أنه يحتفظ إلى الآن بأدوات العمل؛ حيث عاد للعمل في هذا المجال بعد انتشار "البابور" والمصباح بسبب الأوضاع في غزة، وأعاد فتح المحل بعد أن كان قد غيّر مهنته إلى تصليح أفران الغاز؛ ويواصل: "..لكن رغم ذلك لن أختلّى عن هذه المهنة وستظل باقيةً في قلبي حتى نهاية عمري، لأن "البوابير" عالقة في ذاكرتي منذ الطفولة، كما أنها تبقى في النهاية صنعة وحرفة يمكن أن تعود في أيّ وقت..".

الجاروشة

ولا ننسى "الجاروشة" أو "الرحى" وهي من الأدوات التراثيّة المنزلية التي لا نراها اليوم إلا في المتاحف والمعارض، وخلو منازلنا منها، بعكس ما كان في الماضي. وتُصنع "الجاروشة" من حجرٍ مثقوبٍ يُوضعُ فيه الحبّ المُراد طحنه من خلال الفتحة الدائرية التي في وسط الأسطوانة العليا، فيتسرّب الحبّ بين الاسطوانتين الحجريتين وينطحن أثناء ذلك .

ومازالت التشققات في يدي الحاجة "فايزة جرغون" (57 عاماً) والتي خلّفتها يد "الجاروشة" حيث كانت تعمل في هذه المهنة؛ فتقوم بطحن القمح والذرة والعدس وغيرها -في غرفة منزلها- لنفسها ولغيرها من سكان حارتها مقابل عائدٍ ماديّ.

تقول: "الله على أيّام زمان، لمّا كنّا نقعد من الصبح للمغرب عالجاروشة نطحن مختلف أنواع البقول؛ وخاصّة القمح؛ لنقوم بعجنه وخبزه؛ بسّ بيني وبينكم؛ أيام الجاروشة كانت أحسن بكثير من اليوم..".

غربالي ومحراثي..!

ومن تراثيات غزة القديمة "طاسة الرعبة" وهي طاسة نحاسية منقوشٌ عليها آياتٌ قرآنيةٌ؛ لتدخل العناية الإلهية وتخفف الرعب والضغوط النفسية، وكانت تقدمها صاحبة المنزل لأولادها وجيرانها وضيوفها في حال تعرّضهم لحالة رعب من خلال التخيلات والمنامات المزعجة

الحاجة "أم هاني العبد" (تجاوزت السبعين عاماً) فتقول: "عندما كان أحد الأبناء يمرض ويطول عليه المرض ولا يستجيب للعلاج، وكذلك عندما كان يقع أو يخاف من شيء وتخاف عليه أن يصيبه مكروهٌ كنّا نسقيه من طاسة الرعبة لتخفف عنه الألم وتُبعد الأذى وتحميه؛ من خلال الآيات التي كُتبت عليها".أما "الغربال".. ويُستخدم في عملية تنقية الحبوب الصغيرة مثل القمح والعدس من الشوائب لإعدادها لعملية الطحن، حيث تُسقط الحبوب من بين ثقوبه الصغيرة، وتبقى الشوائب بداخله؛ كذلك كان يُستخدم في إعداد الأكلات الشعبية كالمفتول.

وتذكر الحاجة "سعدية أصرف" (التي تعدّت الستين من العمر) أنها كانت قبل أن تقوم بطحن الحبوب تستخدم "الغربال" في تنقية البقول والقمح من الشوائب الصغيرة لتسهيل عملية طحنها.

وتُتابع: "..كذلك كنّا نستخدم "الغربال" في عمل أكلة "المفتول" بعد أن نقوم بـ"بسّ" الطحين وغربلته بالغربال؛ ليصبح جميعه بنفس الحجم، وحاليا بدأ المفتول الذي يُصنع في البيت بالاندثار؛ وحلّ محلّه المفتول الجاهز؛ الذي لا يضاهي القديم، وبذلك قلّ استخدام "الغربال" وتواجده في المنازل".

محماس القهوة..!

ويتذكر "أبو حمزة معمر" الأدوات القديمة التي كان يستخدمها في زراعة المحاصيل في الأرض التي يمتلكها فيقول: "حالياً لا يوجد أيّ تعبٍ عند القيام بزراعة المحاصيل مقارنةً بالماضي؛ حيث كنّا نقوم بتقليب الأرض باستخدام المحراث الخشبي القديم، أما اليوم؛ فقد أراحنا المحراث الآلي كثيراً؛ ففي أقلّ من نصف ساعة نكون قد حرثنا كلّ الأرض..".

ورغم توفّر الأدوات الحديثة اللازمة للزراعة لدى "أبو حمزة".. إلا أنه -ولغاية اليوم- يحتفظ بأدواته القديمة؛ من محراث خشبي وطوٍ، وكذلك "للنجل" و"الطورية" و"الكوريك" حيث يقول: "..لن أستغني عنها أبداً، ففي بعض الأحيان أستخدمه؛ لكن بشكلٍ قليلٍ عما كان قديماً".

"أبو أياد أبو موسى" (90 عاماً) هو أيضاً لا يستغني في منزله عن أدوات تجهيز القهوة؛ ورغم أنه لا يستخدمها؛ إلا أنه يحافظ عليها، وفي بعض الأحيان يستذكر الماضي أمام أحفاده فيقول: "كلّما اشتقت للماضي أقوم بجلب أحفادي وأقصّ عليهم كيف كنا نقوم بعمل القهوة، فأحضّر حبوبها وأغسلها وأنظّفها مثل أيام زمان، ومن ثمّ أحمصها باستخدام "المحماس" وهي عبارة عن صاجة ولها يد خاصة".

ويذكر أنه كان يقوم بطحن القهوة باستخدام "الهون" للحصول على قهوة خشنة، ويزيد من دقّها للحصول عليها ناعمة؛ لكن بعد فترة تمّ صُنع آلةٍ خاصةٍ لطحن القهوة؛ وهي يدوية، ومن ثمّ يقوم بغليها فوق النار في "بكرج" ليحتسيها أبناؤه.

هويتنا الفلسطينية

ويتحسّر "أبو ياسر عمران" (ذي التسعين عاماً) على تراث الأمس؛ الذي اختفى حيث يقول: "ربما اختفى بفعل فاعلٍ؛ أو ربما اختفى نتيجة اندماجنا في هذه الحياة والتطوّر ومسايرة العولمة والحضارة؛ لكن يجب أن ندرك أنّ أمتنا العربية والإسلامية تواجه اليوم أشدّ حملةٍ لطمس هويتها؛ حتى يأتي الجيل القادم لا يعرف هويته، فمثلاً كانت قضيتنا عالمية؛ فتمّ تحجيمها إلى إسلامية، وتم تحجيمها لقضية عربية، والآن أصبحت قضيةً داخلية ويعلم الله ما سيأتي بعدها من تحجيم..!".

ويذكر أنّ "..اليوم أصبحت موروثاتنا الشعبية عند الجيل الجديد تتراجع للخلف؛ لدرجة أنّهم يسموننا "رجعيين" وهذه كارثة كبرى، ونحن لابد أن نواكب ركب التقدم؛ لكن ليس على حساب تراثنا وتقاليدنا، فمن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل..".

ويُعرّف "أسعد عاشور" (مدير متحف قصر الباشا) التراث بأنّه "ما ورثته الأجيال السالفة من عاداتٍ وتقاليدٍ وأسلوب معيشة للأجيال الحالية؛ التي بدورها سوف تورثه للأجيال القادمة، وهكذا تستمر الدائرة..". ويعتبر "عاشور" أنّ "هذه الادوات لا تُعتبر منسية، لكن مع التطور الحاصل في القطاع الصناعي وأدوات الكهرباء جعلها تدريجياً تختفي من منازل السكان، حيث حلّ مكانها أنواعٌ مختلفةٌ من الأدوات الكهربائية، وهذا أمرٌ طبيعيٌ فرضه التقدم التكنولوجي..".

ويؤكد أنّ "..التراث الشعبي في كلّ دول العالم هو انعكاسٌ لهوية الشعوب وتاريخها وحضارتها المجتمعية، ويجب على الساسة والقادة وصُنّاع القرار الحفاظ على هذا الإرث من الاندثار والسرقة ومحاولة السيطرة عليه، هذا يحدث في كلّ العالم؛ فكيف إذا كان هذا التراث هو فلسطين؛ القضية والحكاية والشعب والأرض والتاريخ؛ فإنه أجدر بنا أن نحافظ عليه بكلّ ما نملك من إمكانياتٍ ونسخّر كلّ الجهود اللازمة لتعريف أجيالنا المتعاقبة بكلّ أدواتنا الحياتية القديمة، وبكلّ قطعةٍ أثرية؛ وأن يتم شرحٌ كاملٌ لكلّ قطعةٍ من حيث مكانها الأصلي وأصلها وطرق استخدامها وأهميتها وتطوّرها عبر العصور؛ وكيف كانت تميّز هذه الأدوات الفلسطينيين دوماً وأبداً. ●●

سائر مسعود

التراث .. صورة ناطقة تحيكها نساءِ فلسطين بخيوط التطريز

يُعتبر التطريز في روعته وعراقته من أجمل ما يميّز التراث الفلسطيني. فقد حاول الاحتلال الإسرائيلي -خلال السنوات الماضية- النيل منه وطمس معالمه بشتّى الطرق والوسائل، ليس ابتداءً بمنع دخول المواد الخام التي تُستخدم في المشغولات اليدوية، ولا انتهاءً بمنع تسويق هذه المشغولات لـ "التطريز الفلسطيني". وبالرغم من ذلك: بقي التراث الفلسطيني صامداً عصياً على الانكسار والاندثار؛ حيث ورّثته الأمُّ لابنتها، فبات الحفاظ عليه شغلها الشاغل. بخيوطها الحريرية وإبرها الخاصة تنتجُ منها قطعاً غايةً في الجمال والروعة؛ تزيّن بها جنبات منزلها، لتضفيَ عليه شيئاً من السحر والجمال الأخّاذ وروعة التراث.

يقول الكاتب والشاعر سعيد أبو طبنجة: "التطريز"قنبلة توشك أن تنفجر"، لأن الاحتلال الإسرائيلي يحاول سرقته واستخدامه في متاحفهم ومعارضهم على أنه تراث إسرائيلي.

ويؤكد أبو طبنجة بأن مضيفات الطائرات الإسرائيليات يلبسنه، واكتشف أن إحدى مضيفات الطيران عند نزولها إلى مطار بتركيا كانت ترتدي ثوب فلسطيني مطرز، وتفاخرت بأنه لباس وتقليد يعود إلى أجدادهم الإسرائيليين

تاريخ عريق

"سعاد لغماري" عمرها يوازي عمر النكبة، تسرد "للغيداء" سرّ تمسّكها بفنّ التطريز، وهي تنظُر إلى أطراف أصابعها التي اتسعت لها في كلّ إصبع مكان لوخزة إبرة، تنظُر بلهفةٍ إلى ثوب جدّتها، وتتمنى أن يطيل اللّه في عمرها لتعمل أكثر في هذا الفنّ الراقي؛ الذي تتوارثه المرأة الفلسطينية عن أجدادها. تسرد لنا "سعاد" عن تاريخ التطريز الفلسطيني الذي -على حدّ قولها- يعود إلى سنة 4500 ق. م، لأن الكنعانيين هم من صنعوا الأقمشة وصبغوها، وتُعتبر المنسوجات الأرجوانية إحدى أهمّ منتجاتهم الصناعية، وقد عرف الكنعانيون التطريز، وساعدهم على ذلك أنّ هذا الفن له ارتباطٌ وثيقٌ بصناعتي النسيج والصباغة، فزيّنوا به ملابس النساء والرجال على حدٍ سواء.

تقول "لغماري": "..يُعتبر التطريز من الفنون الشعبية الفلسطينية؛ التي تحوّلت -عبر التاريخ- إلى حرفةٍ تطورت لتصبح مورد رزقٍ لفئةٍ كبيرةٍ من النساء في فلسطين، حيث توفّرت فيها خصائص تتلاءم مع البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الفلسطيني، وقد رافق هذا التطوّر ابتكار نماذج جديدة ذات قيمٍ جماليةٍ عاليةٍ مستوحاةٍ من أصالة هذا الحرفة، والملاحظ في حرفة التطريز هو ازدياد الاهتمام بها على الرغم من التطور الحضاري الذي دخل حياتنا المعاصرة، بل إن المدخلات العصرية أدّت إلى تعدّد استخدامات هذه الحرفة في الحياة اليومية وانتشارها، خاصةً أنّها لا تتطلب معدّاتٍ معقدةً ولا يتقيّد الإنجاز فيها بمكانٍ ولا زمانٍ محددين.."

وتشير "لغماري" إلى أنّ "..الزائر للأسواق الفلسطينية القديمة -حيث تتجمع النسوة من جميع أنحاء فلسطين- كان من السهل عليه أن يميّز المناطق التي تنتمي إليها أية امرأة؛ وذلك بمجرّد النظر إلى ثوبها علاوةً على ذلك؛ فإنّ النسوة أنفسهن كنّ يذهبن إلى أبعد من ذلك، فقد كُنّ لا يميّزن المناطق المختلفة فحسب؛ بل تتعداها معرفتهن إلى التمييز بين قريةٍ وأخرى، بعد أن يتفحّصن الرسومات والوحدات التطريزية وطريقة تنسيقها على الثوب وتُعتبر هذه الوحدات المؤشر الهام الدالّ على هوية القرية؛ فالمرأة تعرف هذه الرسومات جيداً، وترثها من أمّها وجدّتها، إلا أنها تبدأ بتعلّم فنّ التطريز في سنٍّ مبكرةٍ عند تمكّنها من الإمساك بالإبرة وتنغرس فيها منذ طفولتها ضرورة نقل رسومات قريتها على أثوابها.

تاريخ يتجدد

"ليلى القرناوي"(مدربة في جمعية الاتحاد النسائي الفلسطيني)تعتبر التطريز جزءً مهماً في حياة المرأة الفلسطينية، يتمُّ تعليمه لجميع الأعمار من السيدات ومن ذوي الشهداء والأسرى؛ لكي تعود الفائدة عليهم؛ من جهة توفير قوتهم اليومي وسدّ متطلبات الحياة؛ حتى يكون لهم مصدر دخل.

وتؤكد "القرناوي" على أنّ "..تمسك المرأة الفلسطينية بفنّ التطريز -باعتباره فناً شعبياً- ترثه وتنقله إلى بناتها وللأجيال القادمة من بعدها، وتستعمله لتزيين ثوبها التقليدي والكماليات الأخرى للباسها ولترتيب بيتها.." وتلاحظ "ليلى" أنّ "..التطريز برسوماته وأنواعه قد خضع لتغيراتٍ أساسيةٍ مع مرور الزمن إذ نجد في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين تغيراً في الأنماط والرسومات التطريزية التي كانت هندسية الشكل في المقام الأول.."

وتتابع "القرناوي" أنّه "..في الثلاثينات ظهرت

مؤثّرات جديدة غيّرت في خصوصية التطريز التقليدي، مثل خيطان التطريز المصنّعة في أوروبا؛ والتي صحبتها الكتيّبات الخاصة بالتطريز الغربي. ووجدت كلّ أشكال التطريز الغربي طريقها إلى الأسواق الفلسطينية، فتسرّبت الرسومات الغربية -مثل الأزهار والطيور والحيوانات- إلى أثواب النساء التقليدية، وقد بان جلياً في الخمسينات، واستمرّ إلى يومنا هذا..".

مهنة الأجداد

"خلود معروف"(40 عاماً) تقول: "..تعلّمتُ التطريز من جارتي عند زيارتي لها، كنت أراها تطرّز الأثواب، فكانت تصيبني الغيرة لأني لم أكن أعرف آنذاك التطريز وجمال الغرز التي تصنعها، حينها قرّرت أن أتعلم التطريز".

وتضيف "معروف": "..بدأت في التطريز منذ صغري، تعلّمت الغرزة وحفظتها، وفي وقتٍ قليلٍ أصبحت أطرّز لجاراتي، وأصبح التطريز هواية تسري في جسدي مثل الدم في عروقي، وبعد دوامي من مدرستي كنت أطرّز للمدرّسات والمدرسة، وأكثر ما كان يُفرحني أنّ كلّ معلّقات المدرسة كانت باسمي؛ لأنها من إبداعي..". بعد الزواج؛ لم تبتعد خلود عن مهنتها وهوايتها التي تشكّل لها مصدر رزق، حيث أعادت إحياء تلك المهنة لديها، فأصبحت تطرّز وتبيع منتجاتها للمحلات والمعارض.

تتابع "خلود" حديثها: "..بدأت أدرك تماماً أن فنّ التطريز يُكسبني خبرات أخرى عن التراث الفلسطيني، وعن قصص الأثواب المختلفة لكلّ بلدٍ من بلداتنا، فأهل رام الله ونابلس يلبسون اللون الأبيض، واللون الأسود والأحمر يُعرفان لأهل غزة، فاللون الأسود دليل أن الفلسطينيين كلوا دائماً في حروب أما الأحمر فهو دليلٌ على دمنا، والأسود أيضاً يساعد المرأة الفلاحة على العمل والشغل الشاق..".

وعن مسمّيات وأنواع الأثواب قالت: "..هناك المجدلاوي، والجلجلي، الجنة والنار، الجنار.. وغيره العديد من الأنواع، وأثواب الفلاحين والبدو، والأثواب الشعبية الفلسطينية متشابهةٌ جداً في مظهرها العام..".

وتصنّف "خلود" الأثواب الفلسطينية قائلة: "..الثوب المجدلاوي أشهر صانعيه أبناء المجدل النازحين إلى غزة، ومنه الجلجلي والبلتاجي وأبو ميتين مثنّى ميّة، الثوب الشروقي قديم جداً؛ من أيام الكنعانيين، الثوب المقلّم يُصنع من حرير مخطّط بأشرطةٍ طوليةٍ من النسيج نفسه، أما ثوب التوبيت السبعاوي فهو من قماشٍ أسودٍ عريقٍ يُصنعُ في منطقة بئر السبع، ومنه ثوب العروس السبعاوي، والثوب المرقوم للمتزوّجات، والثوب التلحمي العريق جداً المخطط بخطوطٍ داكنة والثوب الدجاني نوعان: ذو الأكمام الضيّقة، والرّدن ذو الأكمام الواسعة، ثوب الزمّ أم العروق أسود، وثوب الملمس القدسي من حرير أسود خاصّ بالقدس ومنطقتها، وثوب الجلابية منتشرٌ في معظم مناطق فلسطين، ويمتاز بمساحاتٍ زخرفيةٍ من الحرير وغيره، وتطرّز عليه وحداتٌ زخرفية..".

يحمل التطريز الفلسطيني رسالةً واضحةً عبر السنين لكلّ من أراد أن يسرق التراث الفلسطيني أوحبّة ترابٍ من أرضها، أنّ فلسطين مزروعةٌ في قلب كلّ فلسطينيٍ شارك في قضيته العادلة بريشته أو بندقيته أو بالإبرة والخيط التي تواكب كافة المراحل التي تمرّ بها القضية الفلسطينية.●●

نعيمة الشيخ علي

المرأة والنكبة..

حينما نتحدث عن النكبة؛ وما حلّ بشعبنا منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا؛ يمر بذاكرتنا شريطٌ طويلٌ من الذكريات؛ والذي يحمل في طيّاته الكثير الكثير من صور التضحيات والمقاومة للدفاع عن الأرض والإنسان والهوية، في صراعنا؛ صراع الكينونة مع هذا الاحتلال البغيض.. وإذا ما تحدّثنا عن النكبة؛ فلا بدّ من أن نتحدث عن المرأة الفلسطينية وما حمّلتها إياه تلك النكبة من هموم وأحزان وأعباء تنوء عن حملها الجبال..كيف لا وقد حوّلتها- ما بين ليلة وضحاها- إلى لاجئة تحمل خيمتها وبطاقة تموينها في ذاكرتها وحقيبتها منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا.. لكنها أذهلت العالم كلّه بقدرتها على أن تقوم بكلّ ما هو مطلوبٌ منها؛ فانخرطت في صفوف المقاومة، فكانت الشهيدة والأسيرة والمبعدة والمطاردة، وكانت أول من صارع من أجل تأسيس الجمعيات والمؤسسات والاتحادات الأهلية والشعبية؛ التي حاولت من خلالها أن تخفّف -قدر المستطاع- من وطأة الآثار التي خلّفتها النكبة في مجتمعنا.

وخطّت المرأة الفلسطينية كلّ الأعراف والعادات والتقاليد حينما خرجت من بيتها ودخلت سوق العمل بكافة مجالاته؛ من أجل أن تنهض بأسرتها وتساعدها على الحياة؛ على أمل العودة إلى بيتها السليب في يومٍ ما مهما بعُد هذا اليوم.

وإلى جانب كلّ ذلك؛ أخذت على عاتقها أن تخفر في ذاكرة أبنائها وأحفادها صورة الوطن السليب؛ كي لا ينسوا.. فما زالت أمي -التي شارفت على الثمانين من عمرها- تجمع أحفادها كلّما التقت بهم لتقصّ عليهم ذكريات البلد وتصفه بأدقّ تفاصيله، وحينما أسمعها؛ أخيّل أنها لم ترحل عنه سوى بالأمس القريب؛ لدقّتها في وصف كلّ شبرٍ فيه، وكلّ بيتٍ وكلّ معلمٍ وكلّ شجرة.. فهي لا تنسى حتى أن تُغنّي لهم تلك الأهازيج التي كانوا يغنّونها.

فالحديث يطول ويطول عن المرأة الفلسطينية في مواجهة النكبة وما تلاها من نكباتٍ إلى يومنا هذا، وبرغم هذه المسيرة الطويلة من القتال العنيد على كافة الجبهات في مسيرة التحرير الوطني؛ والتي ما زالت مستمرة.. تجد نفسها في معركةٍ لابد من خوضها بكلّ شراسةٍ وقوةٍ ووضوحٍ في مواجهة الموروث الاجتماعي الذي يقف حائلاً بينها وبين وصولها إلى العيش في ظلّ مجتمعٍ مدنيٍّ ديمقراطيٍ تسوده العدالة والمساواة والديمقراطية؛ دون تمييزٍ بين جنسٍ أو لونٍ كما نصّت عليه الشرائع السماوية والقوانين الدولية ووثيقة الاستقلال والقانون الأساسي.

ومن أجل الوصول إلى ذلك؛ فعلى الحركة النسوية -وعلى رأسها "الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية"- القيام بعدة خطوات عملية وصادقة تكون من خلالها قادرةً على التصدّي لكل المعيقات والتحدّيات التي تقف أمامها؛ ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

عليها أن تتوحد وتعمل سوياً جنباً إلى جنبٍ على ما نتفق عليه؛ فكثيرةٌ هي نقاط الالتقاء.

عليها أن تعمل -كذلك- بكلّ قوةٍ من أجل إيصال ما تريد إلى القاعدة النسوية العريضة بعيداً عن اللقاءات النخبوية التي أصبحت لا تسمع إلا صوتها.

وفي الختام؛ سؤالٌ نطرحه على القوى اليسارية والديمقراطية:

أليس من الظلم والإجحاف للمرأة الفلسطينية أنها لا زالت تطالب بحقّها في المساواة في القوانين والوصول إلى صنع القرار؟ فإلى متى سنبقى نتغنّى في مقالاتنا وخطاباتنا بدور المرأة ونضالها دون أن نعطيها ما تستحق.. في ظلّ مجتمعٍ تسوده العدالة والمساواة.●●

في ظلال الخيام السوداء..

المرأة البدوية تحيك حياتها بـ "بيت شَعَر"

المرأة البدوية: فنانةٌ مرهفةُ الإحساس، يتجلّى ذلك في تفرّدها بصناعة بيتها "بيت الشَعَر" وتزيينه.. حكاية المرأة البدوية مع "بيت الشَعَر"، الذي يمثّل عماد حياة البادية وروحها، حكايةٌ تستحقّ أن تُعرف؛ ومن خلال نساء عِشْنَ في ظلال "بيت الشَعَر" في البادية الفلسطينية، التقت بهنّ "الغيداء" لتقترب من ذاكرتهن؛ التي ترفض أن تنسى حياة الأجداد بتفاصيلها؛ وحلوها ومُرّها.

"يا مغزلي يا بو رنّة"

"آه يا بنيتي؛ ساق الله ع هديك الأيام".. بهذه العبارة استهلّت الحاجة "عيدة حسن الترابين" (77عاما) حديثها بتحسّر على حياتها في البادية؛ في ظلال بيت الشَعَر؛ الذي هُجّرت منه مع أبناء عشيرتها وشعبها الفلسطيني عام 48، عام النكبة.

وأضافت: "أن المرأة البدوية تصنعُ بيتها من ألفِهِ إلى يائه، إذ كانت الفتاة البدوية عند زواجها تسكن مع عائلة زوجها إلى أن تُنجِزَ بيتها بنفسها".

وأشارت إلى أن بيت الشَعَر عادةً ما يُصنعُ من شَعَر الماعز أو صوف الغنم أو وبر الإبل، وكانت حياكة البيت تستغرق من سنتين إلى ثلاث سنوات، حسب المقدرة المادية لصاحبه، وكانت النسوة يقمن بشراء الغزل من "بئر السبع" على شكل كُرات "مكوشة" إذ كان من الصعب شراء كمية الغزل اللازمة لصناعة البيت مرةً واحدة، فكل سنة تشتري ستة أرطال أو أكثر تقريباً، ثم تحيكه إلى "شجايج" أي "قطع" فالبيت العادي يحتاج إلى ست "شجّات" وقد يزيد أو ينقص عن ذلك حسب اتساع البيت وعدد "رفاته" أي "غرفه".

وذكرت أنّ حياكة البيت لا تكون إلا في "الجيظ" أي "القيظ" في فصل الصيف، حيث تتم خلاله عملية قصّ شعر الماعز وصوف الغنم.

وعن الأجواء الاجتماعية التي تصاحب الحياكة؛ كشفت الحاجة "عيدة" أنها مثّلت مناسبةً لالتقاء الجارات لمساعدة بعضهن البعض وتبادل أطراف الحديث والغناء مع شرب الحليب.

وحول مكوّنات "بيت الشعر" أشارت الحاجة "عيدة" إلى أنه يتكون من "الشجايج" وهي قطع، حيث توصل ببعضها "المعند" وهو الحاجز الذي يفصل بين الغرف، وعادةً ما يُصنع من صوف النعاج، وكذلك "الرواج" الذي يلفّ به البيت، ويُصنع من صوف الخروف، و"الفضفضة" وهي الستارة إلى جانب العمدان والحبال لنصب البيت، وأخيراً "السفيفة" وهي ما يُزيّن بها البيت، وغالباً ما تُصنع من الصوف والخرز.

حكمة الجدّات

بدورها؛ الحاجة "سلمى قاسم الرجيلات" (75سنة) تطرّقت إلى مراحل حياكة بيت الشعر وقالت: "إن عملية الغزل تبدأ بتنظيف الصوف؛ الذي عادةً ما يكون من الماعز أو الغنم أو وبر الإبل، وإزالة العوالق عنه؛ باستعمال أمشاط خشبية حتى يصبح صالحاً للنسج، ثم تقوم المرأة بغزله، بوضع "المغزالة" تحت إبطها أو بين قدميها عند الجلوس، ويُستعمل المغزل لتجميع الخيوط على شكل كرات ثم تبدأ مرحلة حياكة الصوف ونسجه على شكل قطع بعرض مترتقريباً ثم تُجمع بعد ذلك".

ويُصنع البيت إما من "رقّتين" أو "ثلاث رقّات" وكحدّ أقصى "أربع رقات" والرقّة هي كالغرفة، ويتم تقسيم بيت الشعر بحيث تكون رقّة للنساء ورقّة للرجال ورقّة للطهي والطعام، فعدد رقّات بيت الشعر تُحدد على ضوء المكانة الاجتماعية والقدرة المالية لصاحب البيت، لكنّ عرض بيوت الشعر تكون متقاربة في مساحتها.

وعند سؤالنا للحاجة "سلمى" عن كيفية تزيين بيوت الشعر وإدخال الألوان فيها، ابتسمت قائلة: "تلك الأيام لم تكن الأصباغ والألوان الصناعية متوفرة مثل اليوم، فكثيراً ما كنّا نصنع أصباغنا وألواننا من النباتات المتوفرة، وهي في غالبيتها نباتات صحراوية، كما كنّا نستخدم "الكركم" و"العرجون" ذي اللون البرتقالي للحصول على هذا اللون". كان إتقان حياكة البيت وتزيينه مبعث فخر للمرأة، حيث كانت تتفنن في تزيين بيتها عن طريق نسجها للبسط المنقوشة بألوان وتشكيلات يتفنّن في إتقانها تسمى "مرجوم" وتُزيّن جدران وسقف بيتها بالنجف والصواني المصنوعة من الصوف والخرز، وكذلك السفايف الطويلة؛ وهي زينة تحاط بالبيت.

أوضحت الحاجة "سلمى" أنه مع اقتراب حلول فصل الصيف يتم طوي بيت الشعر واستبداله ببيتٍ مصنوعٍ من الخيش، ولحماية البيت المطوي يوضع فيه رمل الدخل، ومع حلول الشتاء يتم فرده وإصلاحه إن كان به تلف.

أما عن كيفية إتقانها لعملية الحياكة؛ قالت الحاجة "سلمى":

"إنها تعلمتها من والدتها؛ التي هي بدورها أخذتها عن أمها." وأضافت بشيء من الحسرة: "..وأنا بدوري حاولت تعليم بناتي هذه الصنعة؛ لكنهن رفضن ذلك، مبرراتٍ رفضهن أنها لم تعد تلاءم عصرهن".

تجسيد الشراكة

دور الرجل البدوي يأتي بعد أن تنتهي المرأة من حياكة بيت الشعر، فهو من يقوم بنصبه، لتتجسد بذلك الشراكة بين الرجل والمرأة. الحاج "أبو فايز الحسنات" (80سنة) أوضح أنّ نصب بيت الشعر لا يتم بشكلٍ عشوائي؛ بل يُراعى تجنّب أشعة الشمس، لذا يتم نصبه في محور يمتد في اتجاهي الغرب والشرق، وذلك لكي يوفر أكبر قدر ممكن من الظل." وليضفي على لقائنا نوعاً من المرح؛ قال وهو يبتسم: "أحد المعروفين ببخلهم الشديد كان يُصرّ على نصب خيمته في محور الشمال والجنوب، فإذا حلّ عليه ضيفٌ لن يستطيع تحمّل حرارة الشمس، مما يحمله على مغادرة بيت الشعر على عجل..!".

وأضاف الحاج "أبو فايز": "عند نصب بيت الشعر يوضع "رفّ" قسم الرجال في الطرف الشرقي من الخيمة، ويكون موجّهاً نحو القِبْلة لأداء الصلاة".

وعند سؤالنا له عن سبب اختيار شعر الماعز لصناعة سقف بيت الشعر، عزا ذلك إلى أنّ شعر الماعز لا يمتص مياه المطر، منوّهاً إلى أنّ بيت الشعر لا يخلو من وجود فتحات صغيرة تسمح بمرور الهواء في فصل الصيف، وكذلك تمكن من خروج الدخان.

ومن ميزات بيت الشعر -إضافةً إلى متانته وقوته وقدرته على مقاومة الظروف البيئية الصعبة- فإنه خفيفٌ في عملية الترحال، وكذلك قابليته للصيانة، إذ يمكن للمرأة البدوية إصلاحه دون الحاجة إلى من يساعدها في ذلك.

حتى لا يطويها النسيان

"سهيلة النحال" (مهتمةٌ بالتراث البدوي) أشارت في حديثها معنا إلى أنّ حياكة بيت الشعر تمنح المرأة البدوية القدرة على التكيّف مع البيئة الصحراوية القاسية، وتمكّنها من صقل قدرتها على الصبر والجَلَد، كما يعلّمها الإتقان، وينمّي عندها الحسّ الفنيّ والذوق الرفيع، وذلك من خلال حرصها على اختيار الألوان المناسبة، ووضع اللمسات الفنية على ما تنسجه لتزيّن بها بيتها؛ مثل النجف والبسط والسفايف والصواني.

وحذّرت "سهيلة" من أنّ حرفة حياكة بيوت الشعر يتهددها الاندثار، إذ لم يبقَ إلا عددٌ قليلٌ جداً من النسوة اللواتي يتقنّها، وأن وجود منتوجاتها محصورٌ فقط في بعض المتاحف والمراكز التراثية.

وطالبت "سهيلة" بـ".. ضرورة دعم السيدات اللواتي يتقنّها لتعليمها للأجيال الشابة، وذلك من قبيل الحرص على الموروث الفلسطيني؛ الذي يشكّل أحد مكوّنات الهوية الثقافية الفلسطينية، حتى لا تلاقي نفس مصير الحرف التي طواها النسيان..".●●

عارف الحجاوي

الاختلاط

طُلب إليّ أن أكتب مقالةً عن المرأة، عن الآثار، عن النكبة.. فأما النكبة فنحن نراها بأمّ أعيننا، وما نحن فيه يكفينا شرّ الحديث عن نكبات الماضي.. وأما الآثار؛ فكلّ ما عندي من أفكارٍ حولها لا يتعدّى السطرين: "حافظوا على الآثار أو لا تحافظوا؛ فالزمن كفيلٌ بتحويل كلّ شيءٍ إلى آثار. الآثار شيءٌ متجدّد، وقد يعجز المنقّبون عجزاً فاضحاً عن العثور على أثرٍ واحدٍ يؤيد روايةً سياسيةً أو تاريخية، فيأتي المؤرخون المزيّفون ويستعيضون عن الآثار بنصوصٍ يزعمونها مقدّسة، واليهود في فلسطين سادة هذا الاتجاه، لقد أعجزهم علم الآثار فلجأوا إلى النص..!

وأما المرأة فهي حبيبة قلب الرجل، ومن الحب ما قتل، ومن الحبّ ما سجن، ومن الحب ما اضطهد. ويفعل بعض المتزمّتين بالمرأة فعل المؤرخين المزيّفين بالآثار، فحين يعجزون عن العثور على سندٍ دينيٍ لاضطهادها يلجأون إلى التقاليد لكي يحبسوها ويحرموها حقوقها.

النساء يؤدين فريضة الحج مع الرجال، ويؤاكلن الرجال، ويتعلّمن معهم، وجاء المتزمّتون وظلّوا يضيّقون على المرأة ويحجبونها وكأنها عيبٌ من العيوب، وليس لديهم حجةٌ من الدين، بل هي غريزة حبّ السيطرة. يقولون: "المرأة فتنة" ألا حقاً ما يقولون: "المرأة فاتنة" لكن الرجل أيضاً فاتن..! وقد خلق ربّك الجنسين كي يقتربا ويتفاعلا في سبيل الوصول إلى مجتمعٍ صحيٍ، قد كنت أعلّم الفتيات والفتية في الجامعة في تخصص الإعلام ستّ سنوات، وكان من حسن حظي أنّ عدد الفتيات كان دائماً يفوق عدد الفتية بقليل. لم أشاهد -ولا مرة واحدة- أمراً شائناً، بل لقد تخرّج طلابي وطالباتي وهم جميعاً أقدر على تفهّم الجنس الآخر. بكلّ بساطةٍ أقول: "كان التعامل فيما بينهم أخوياً، في البدايات كان الطالب القادم من بيئة محافظة "يكش" قليلاً، وكذا الطالبة، ولا تمضي أسابيع قليلة حتى يأخذ الطلبة جميعاً -من الجنسين- في العمل في مشاريع مشتركة، وفي التفاعل الصحيّ الإيجابي، ويدرك كلّ واحدٍ منهما أنّ المجال مجال عمل وتعلّم، ويدرك الشاب أنّ الفتاة مخلوقٌ نشطٌ وذكيٌ ولا يقلّ عن الشاب في أيّ شيء، وتدرك الفتاة أن الشابّ ليس مجرد شخصٍ "صائعٍ" يعاكس الفتيات؛ بل هو مخلوقٌ لديه ضوابط من الخلق الحسن، ومن لا يكون مربياً في بيته فإنّ وجوده في بيئة صحيةٍ مع فتياتٍ يربيه". يرى الشباب في البداية جمال الفتيات، ولعلّ أحدهم يقول: "واو.." وترى الفتيات جمال الفتيان، ولعل إحداهنّ تقول: "واو.." لكنّ هذه "الواو" تزول سريعاً، وينخرطون جميعاً في الدراسة والعمل. إن الشابّ الذي درس في جامعة مختلطة يصبح أكثر تهذيباً..أنا أدعو أيضاً إلى الاختلاط المدرسي في كلّ المراحل، وتجاربنا الحيّة في هذا المضمار ليست قليلة، هناك في فلسطين مدارس خاصة كثيرة فيها اختلاط، وأنا أعيش منذ ثلاثين سنة في رام الله، وقد علّمت سنتين منها في مدرسة "الفرندز" وأرسلت بنتين لي إلى مدرستين مختلطتين، وحمدت النتيجة. ولم أسمع شيئاً يسوءني من الاختلاط المدرسي، لا من بناتي ولا من أيّ أحد، طوال هذه السنوات الثلاثين. وكلما فُتح موضوع الاختلاط في المدارس أقول لنفسي: الدليل موجودٌ أمامكم. فماذا نصنع بالفتنة؟ هذه طبيعة إنسانية: أن يميل المرء إلى الجنس الآخر، وهي طبيعةٌ جميلةٌ ويحسن بالمجتمع أن يراعيها، وأن يتخذها وسيلةً إلى تعزيز المجتمع. ●●

سليم المبيّض

أول مؤتمر نسائي فلسطيني

بعد "ثورة البراق" عام 1929 وما نجم عنها من استشهاد وجرح المئات من الشعب الفلسطيني؛ وما تمخّض عنه من لجان تحقيق أبرزها "لجنة ولترشو" (أحد القضاة الإنكليز) التي خرجت بتوصياتها بأنّ "حائط البراق حائطٌ إسلاميٌ" وضمن الوقف الفلسطيني و ملكٌ للشعب العربي الإسلامي" وما صيغَ في "الكتاب الأبيض" من تحديد للهجرة اليهودية، إلا أن اليهود ضربوا بكلّ ذلك عرض الحائط، وعاثوا فساداً في المسجد الأقصى بحماية الإنجليز؛ الذين أهملوا كلّ هذه التوصيات من لجنة "شو" والكتاب الأبيض. نتيجةً لهذا كلّه؛ وجد الشعب الفلسطيني أنّ الحاجة ماسة لاتخاذ أسلوب المقاومة العسكرية؛ بعد ما شاهدوا ولمسوا أسلوب القمع العسكري من القوات البريطانية.

ولم تكن المرأة الفلسطينية بمنأى عن هذه الأحداث الهامة، وعليه؛ كان عقد الثلاثينات من القرن العشرين (1930-1939) منعطفاً تاريخياً حاداً في تاريخ الثقافة الفلسطينية، فكان من أبرز ملامحه قيام أول وأضخم تظاهرة لنساء فلسطين حدثت بعد انعقاد مؤتمرهنّ الأول يوم 26 من أكتوبر من العام 1929، والذي اشتركت فيه 300 سيدة فلسطينية من مختلف مدن وقرى فلسطين، وقرّرن ما يلي:

- على المرأة العربية الفلسطينية أن تقوم بنهضةٍ نسائيةٍ وطنيةٍ عربيةٍ أسوة بالأقطار العربية الأخرى المجاورة.
- يؤيد المؤتمر مقررات الأمة في مؤتمراتها السابقة.
- تنشيط التجارة والصناعة الوطنية بكل السبل والوسائل، وتعزيز الارتباط الاقتصادي مع سوريا وغيرها من البلاد العربية.

وما أن انتهى المؤتمر حتى انتقل وفدٌ منهنّ لمقابلة المندوب السامي البريطاني "السير تشانسلور"، فخرج هو وزوجته واستقبلا الوفد، وقامت إحداهنّ وألقت الكلمة التالية:

"هذه هي المرّة الأولى في التاريخ التي تتقدم فيها المرأة العربية الفلسطينية للعمل في الشئون السياسية، فنساء العرب يرون أن يقمن بقسطهن في خدمة الوطن، وهنّ عازمات على أن يقدّمن كلّ تضحية ليؤمنّ العدالة في بلادهن، وأنهن يطالبن بإلغاء وعد بلفور، ومنع الهجرة اليهودية، وتنحية المستر "بنشو يتش" النائب العام فوراً لأنه يهوديٌ متحيزٌ ومتحمسٌ لليهود، وإلغاء قانون العقوبات المشتركة".

وقد أجاب المندوب السامي "تشانسلور" بكلمةٍ قال فيها: " إنّي مسرورٌ جداً أن أراكن هنا، وقد تنازلتن عن عاداتكن التي لم تكن إلا نتيجةً وطنيةً حقيقيةً وشعوراً خالصاً، إنني سأبذل قصارى جهدي لإعادة السلام في فلسطين، ولكن عليكنّ أن تعرفن أنّ سلطتي محدودة، وأن هناك أموراً يجب أن تقرّرها وزارة المستعمرات، فالمستقبل سيثبت أنني كنت صديقاً حقيقياً للعرب، وإنني مسرورٌ أن أرى هذا التقدّم النسائي في فلسطين، وأراكن جدّ مهتمات برفاهية بلادكنّ، وإني سأبذل قصارى جهدي لمساعدتكن على تعليم المرأة الفلسطينية؛ لتتمكنّ بذلك من أن تصل إلى المكان اللائق بها في المجتمع".

ومما هو جديرٌ بالتنويه هنا أنّ المستر "بنتويتش" هو المستشار القضائي لحكومة فلسطين؛ وكان بريطاني الجنسية؛ لكنه صهيونيّ العقيدة، يعمل على سنّ القوانين الجائرة ضد عرب فلسطين ولصالح اليهود مع صديقه الموعو "جايمون" المسئول عن الهجرة اليهودية بكلّ الطرق السلبية، وقد انكشفت ألاعيب "بنتويتش" أمام الرأي العام الوطني الفلسطيني، مما دفع شاباً صغيراً من قرية "الأقباطية" لإطلاق الرصاص على وإصابته في فخده، وكانت هذه أول محاولة اغتيال سياسي يقوم بها فتى فلسطيني لأغراض سياسية.

وكان السبب المباشر لهذه الحادثة تصريح "تشانسلور" المتشدّد ضد العرب وضد ثورة البراق، واتهامهم بأنهم هم المسئولون عما حدث من قتلٍ ضد اليهود.

ولما كان هذه التصريح لعدم اطلاعه على الحقائق؛ لأنّه كان أثناءها في إجازةٍ بلندن، وبعد أن حضر لفلسطين واطلع على حقائق الأمور أيقن بأنه كان مخطئاً؛ لذا: كانت كلماته توحي - إلى حدٍ ما - بتضامنه وعطفه، وقد صدق عندما قدّم استقالته من منصبه في 21 من أكتوبر من العام 1931 عائداً للندن، وقد أسّس جمعية لمساعدة العرب في قضاياهم..!

نبال ثوابتة

نملية أمي..!

توسطت "نملية" أمي الحائط الغربي من غرفة نوم أمي وأبي؛ والتي هي نهاراً غرفة المعيشة وليلاً غرفتهم التي ينامون فيها، وضَعَتها أمي في الركن الأساسي من الغرفة المقابل للشبّاك الكبير المشرف على شجرة الليمون الشهرية، زرعها أبي وسمّاها على اسم أختي "خولة" فكانت معروفةً لدينا بـ"ليمونة خولة" وكذا نفعل معنا جميعاً؛ أطلق أسماءنا على شجرات الحكورة.

وتحت "ليمونة خولة" أوجوارها -لستُ متأكدة- زرعت ستي عرق ميرمة جلبته معها من بلدنا "بيت فجار" وتحديداً أذكر أنهم قالوا إنها جلبته معها من الشمالية، وهي قطعة أرض لجدّي وللآخرين من أقربائه، وبعون الله خوّل عرق ميرمية ستي مع السنين الى شجرةٍ كبيرة أقسم من رآها أنها أعجوبة، إذ لم يشاهدوا في حياتهم شجرة مريمية بهذا الحجم..!

أمي كانت تكتفي بهزّ رأسها قائلة بيقين المتأكد: "أمي الحجة أديبة زرعتها وإيدها بركة". أما نحن -صغار العائلة- فكانت تلك الميرمية مخبأً دافئاً وحنوناً للقطط التي تهرب منّا -أو بالأحرى منهم- فأنا لم أكن يوماً مطاردة قط..! كان نصيبي فقط الرعب والفزع كلما كلّفتني إحدى أخواتي بتلقيط الميرمية بسرعة عالية لأن "الشلي قرّب يغلي" وكنت دائماً مرعوبةً من أن "تنطّ" عليّ قطةٌ ما مختبئة في شجرة الميرمية وتنتقم من كلّ الأولاد في شخصي الكريم، وبين خوفي من التأخر على "إبريق الشاي إللي بغلي" وخوفي من هجوم القطط؛ كنت أقضي لحظاتٍ بالغة الصعوبة تنتهي عادة بـ"معط" أقرب ورقات مريمية والركض سريعاً نحو باب المطبخ.

وعودةً لذلك الحائط الذي تحوّل إلى "مصفط للحفه والحرامات والمخدّات" ومن باب التجميل؛ جلّلته أمي بجلال من قماش القطن الذي تسطّره مستطيلات خضراء اللون؛ وبه ورود كبيرة كانت قبل أن يكلح لونها بفعل تكرار الغسيل، برتقالية اللون واليوم هي أقرب للأصفر.

وفي مقابلة "المصفط" وضعت أمي خزانتها السكنية أم الثلاث دقّات، كانت من الفورمايكا اللمعية وبها أيضا توشيحات من درجات اللون السكني المتدرّجة من الغامق إلى الفاتح؛ التي طالما شغلتني في طفولتي في التحديق في تدرّجها المنعكس في الدفات الثلاث. إحدى الدقّات لم يكن بابها يغلق تماماً، وكانت دائماً مكتظةً بملابسي أنا وأخي "نبيل" أما الدقّة ذات القفل والمفتاح، فكانت لأبي، وبها علّقت أمي ملابسه، وفي جزئها العلوي الذي جاء على شكل رفّ وضع أبي حقيبته "السمسونيت" البنية؛ التي جلبها معه من الكويت في زيارته الأولى، وكان لها رقماً سرياً، ولشدّة اقترابي من أبي عرفته؛ كان ???من الجهة اليمنى و؟ ??من الجهة اليسرى، كان أبي يثق بأنني لن أفتحها في غيابه، لكنني -بالطبع- كنت دائماً على موعد مع الأمانة المهزومة بالفضول..! كنت أفتحها كلما سنحت الفرصة، وأعدّ ما بها من نقود، وأتفقد -بحرص- مسدس أبي قبل أن يكتشف خيانتي لثقته، ويضطر لتغيير المكان إلى آخر.

لم يكن بإمكاني مواصلة مغامرتي به، فالمكان مرتفع في سدّة المطبخ، ووحده أخي الكبير من يستطيع الصعود هناك ليستمتع بممارسة الممنوع. وإلى جانب الخزانة السكنية وضعت أمي نملية البنية، وهي أيضا من "الفورمايكا" اللمعية، كانت مربعةً تقريباً وثلثاها من الزجاج، أما ثلثها السفلي فكان جرّاراً مربّعاً كبيراً إلى اليمين ومثله على الشمال، وثلاثة أدراج صغيرة تفتح للأمام في المنتصف. "الجرارا اللي على اليمين لم يكن يطبق تماماً، وبفعل خبطات إخوتي الدفشين خلعت يده" فكنّا نفتحه بالاستعانه بذراع ملعقة أو سكينة، وعلى باب الجرّار من الداخل -أي بطنه الخشبي الأقرب للخشونة- رسمت بعد أن استوليت على قلم أختي "نوال" "الفولا ستر الأخضر- رسمت أول رسمات حياتي.

رسمتُ امرأةً؛ أظنها كانت سمينةً وفستانها واسعٌ ولها يدٌ أطول من الأخرى، ورأسها صغيرٌ جداً مقارنةً بجسمها ولا أعين أو تفاصيل لها، لكنني متأكدة من أنها كانت تحمل وردة.

كلّ هذا مهم؛ لكن أهم وأخطر ما في نملية أمي أنها استخدمتها كأرشيف لتكريات العائلة المخزّنة بأناقة، امرأةٌ فلاحة بين اللوحين الزجاجيين اللذين يغلقان ويفتحان على رفوف النملية "المستوفه ستفاً بمطبقيات الخُطَب والأفراح" كنت أسمع أمي تقول للزائرات: "هذه الكاسة من خطبة نوال، وهذة المتكّة من خطبة خوله وفنجان السادة ذاك من خطبة مزيونة".

وهناك في الجزء الأوسط من لوحي الزجاج؛ حيث يلتقيان ليشكّلا فوق بعضهما مسا حةً لتوثيق أمس أمي.. كانت أمي تضع صور أولادها وبناتها عندما كانوا اصغاراً، وبعدما كبروا وابتعدوا عن عشّها وساحوا في بلاد الله..

صورٌ كثيرةٌ مختلفة الأحجام، صورٌ بعضها ملوّن وبعضها أبيض وأسود.. صورٌ تملؤها الابتسامات، وصورٌ تملؤها رائحة المناسبات؛ حتى أنك تشعر بأنك تشمّ رائحة عرق الناس المتجمّعين في تلك الصور؛ وتتحسس دفء شمسهم وبرد أكوام الثلج الواقفين فوقه..! في إحدى الصور وقف أخي "عيسى" مع أصحابه على شطّ البحر الميت، والأمواج خلفهم تتراكض وهم مبللين بالماء، شممت رائحة البحر في كلّ مرّة نظرت إليهم، وسمعت ضحكاتهم؛ وكأنها علقت هناك في تلك اللحظة وإلى الأبد.. هم كبروا وشاخوا وهرموا وبقوا شباباً يضحكون في أرشيف نملية أمي..

كانت تخرج الصور كل يوم؛ ولربما فعلتها أكثر من مرة يومياً، لا لتمسح الزجاج كما كانت تقول لي؛ بل لتُقبّل الصور وتستنشق عبيرها الذي كان عندها، كما أنه رائحة الأبناء المتهمين للمغادرة وهي تحتضنهم في اللحظات الأخيرة.. لحظة ما قبل قول "مع السلامة يامي ياحبيبي طريقك خضرا، والله يكفيك شرّ بني آدم" ولحظة ما قبل السماح للدموع المترقرقة في العيون بالانهمار، وذلك ما بعد أن يدير الابن للأم ظهره وأحيانا إلى الأبد.. لم أكن أفهم تصرّف أمي المتكرّر، وبكاؤها المتكرّر على أبنائها الصغار؛ الذين كبروا؛ والكبار الذين ابتعدوا.. لم أفهمه طوال ثمان وثلاثين سنة -هي سنوات عمري- فهمته فقط قبل أيام قليلة عندما فقدت طفلي؛ فقدته؛ أي مات؛ ولدته ميتاً؛ ليكون اللحد بدلاً عن المهد مأواه الأول والأخير.. ولدا بني ميتاً وهذا صعب، طوال عمري كنت أحاول أن أفهم معادلة الحياة على حدة والموت على حدة؛ فما بالكم إذا جاءتني المعادلتان معاً..! ولادةٌ مجللةٌ بالموت..

هذا أصعب من أن تحتويه عظامُ أمٍ خرجت للتوّ من ولادة قاسية مبكرة..

قالوا لي من زاروني من أحبتي، ومن "جابرت" و"كابرت" على نفسي لأبدو أمامهم أقوى قليلاً: بأنني سأنسى الأمر غداً أو بعد غد؛ لكنّ أمي -حتى لحظة موتها- لم تنسَ أخي "موسى" البعيد عن مقلتيها، ولم أنسَ أنا للحظة عابرة وليدي الميّت، وأظن أنه سيعيش معي ما حييت.. فقد اختلجت مع خروجه من رحمي قطعة من روحي وقطعٌ من جسدي، أخذني كُلّي معه كعربون وفاء وتذكّر.. سأتذكره كما فعلت أمي باستذكار أبنائها مع تردّد تكبيرات العيد، فكان كلما قال الناس فجر العيد "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله".. تتنهد أمي وكأنها تصفّي أصوات أحبتها من بين أصوات جموع الناس، وتدفئ بها قلبها.. سأتذكره كلما سمعت بكاء طفلٍ في لحظته الأولى، فابني لم يبك، بالكاد أعطاني أنّةً لن أنساها ما حييت، سأتردد في كلّ لحظة.. فعلها ثلاثاً قبل أن يخبو وأخبو.. سأتذكره كما فعلتْ أمي في أول الربيع ومع تفتّح أزهار الأشجار، كانت تقول: "أول الثمار يطيل العمار" وتجمعنا حولها وتطعمنا؛ إلا أننا اكتشفنا -متأخرين- وعلى وقع فقدانٍ متكرّر- بأن الأعمار لا تطول ولا تقصر بصلوات الأمهات، وإلا لكان للأبناء أطول الأعمار، ولما ماتت طفل؛ ولما استشهد فتى؛ ولما قُتلت عروس..

ولكل الأمهات المشغولات تماماً بأرشيفهنّ العائلي أقول: "كلّ عامٍ وأنتن بخير، وكل عام وأنتن تتذكرن تماماً كأمي، ومع نزول أول مطرة.." تلك التي تغسل التراب وتنثر رائحته رحمةً وبشائر للمنتظرين، تذكرن كلّ الأمهات الفاقدات وحزنهن الذي لا يخبو أبداً، ونيسانهنّ الذي لا يتحقق أبداً.

تذكرنهن كلما مرّت من أمام منزلكنّ رقّة عريس، وكلما نثرتن فوق رؤوس العرسان سكراً وسكاكر..

تذكرن الأمهات المثكولات.. من دفن الشهداء والأطفال والعرائس.. واحفظن حزنكن جيداً؛ لأن بناتكن غداً سيتوسلن به بعد غيابكن.. فهذا هو ما ورثناه عن أمهاتنا، وأظنه -ورغماً عنا- ما سنورثه لبناتنا. شغف أمهات مشغولات بأرشيف الأمس.. وقلق أمهات هاربات من بكائهن إلى ألبوم الصور!

بيسان عيزد

في عيون الرجال.. المرأة الفلسطينية مناضلة وقائدة فذّة ومثابرة

ظهرت المرأة الفلسطينية في عدة صور، فهي الأم التي حثت أبناءها وبناتها على التعلم والعمل والإنتاج، وهي من أرضعت أطفالها حليب الثورة وحثتهم على النضال والاستشهاد في سبيل الأرض والوطن، وهي المعلمة التي علمت والعاملة الكادحة التي أنتجت والمنظمة التي قادت خلايا تنظيمية ونقلت الرسائل وسهلت تحركات المناضلين.

هي المرأة الحرة والمرأة السياسية المشاركة والعاملة الجماهيرية والمقاتلة ضد الاحتلال من أجل الحرية والاستقلال شاركت بالعلم والحجارة وواجهت المولوتوف وحمل السلاح، وهي التي سارعت بعد عمليات نوعية سقط فيها العديد من الرجال، كعمليات خطف الطائرات والعمليات الاستشهادية.

وقدّمت المرأة الفلسطينية الأم المثالية، والمناضلة المميّزة، والقائدة الفذّة، والشهيدة الخالدة، والأسيرة الصامدة، والمبعدة الحالمة بالعودة، والمحرّرة الصابرة؛ التي أمضت شهوراً وسنواتٍ طويلةً وراء القضبان.

ومما لا شك فيه أن الكثير من النساء الفلسطينيات شاركن في صنع التاريخ الاجتماعي والثقافي في فلسطين - وحتى في العالم العربي- في أوائل القرن العشرين وصولاً للنكبة الفلسطينية عام 1948، ومنهنّ أسماء كثيرة، فقد برزت الفتاة الفلسطينية التي تعمل في الإذاعة والصحافة وقطاع التربية والفن والموسيقى والأدب والعلوم والتصوير الفوتوغرافي؛ تلك المهنة التي كان مجرد التفكير فيها عائقاً أمام المرأة.

يروي المؤرخ "سليم المبيّض" لمجلة "الغيداء" عن سيدةٍ بدرساوية" من بيت داراس" تقول الحكاية: "ما إن تأذن الشمس بالغروب حتى يهمّ بتجهيز نفسه، يأخذ كيساً من الخيش يلفّ به وسطه، ويربطه بحبلٍ ويثبت الشرشرة بالحبل على جانبه الأيمن، ويبدأ سيلٌ من الأفكار الجارفة يعتصر ذهنه، فهل بعد المسير عودةٌ للزوجة والأطفال؛ أم أنها الزيارة الأخيرة؟ ففي كلّ مرةٍ كان يعود فيها حاملاً القمح أو العشب ليبيعه تغمره فرحةٌ كأنها النصر لعودته سالماً؛ وذلك لأنّ الاحتلال الإسرائيلي كان يطلق النار على كل من يتسلل لخط الموت..

الرجال كانوا يستعدّون لدخول خط الموت؛ والذي قسم أراضي الفلسطينيين، وهو الخطّ الفاصل بين الأراضي المحتلة عام1948 والأراضي المحتلة عام1967، وقد حددته الأمم المتحدة بعدهدنة عام 1949 التي أعقبت الحرب التي خاضها العرب مع إسرائيل عام 1948.

وفي حينه؛ توافد لغزة 200 ألف لاجئ؛ في الوقت الذي كان عدد سكان قطاع غزة 60 ألفاً، وقد أحدث هذا ربكةً في الاقتصاد الوطني الفلسطيني وزاد حالات الفقر والبطالة، فقد تأثرت منطقة الشجاعية بالخط الفاصل؛ وذلك لشمولها عدداً كبيراً من أراضي الفلسطينيين؛ ما دفع بالعديد من أبنائها لاجتياز الخط الفاصل للحصول على ما يسدّ رمق أطفالهم.

رحلة محفوفة بالمخاطر

ففي حادثةٍ عن سيدةٍ فلسطينية اتجه زوجها للخط الفاصل رغم إلحاح زوجته بأن يتخذ كل درجات الحيطة والحذر، إتجه "أبو محمد" مع اثنين من رفاقه؛ وذلك ليحموا بعضهم بعضاً، ويأنسوا في ظلمة الليل الحالك، استعدوا للانطلاق حزموا خواصرهم، وانطلقوا بعد أن أسدلت الشمس الذهبية خيوطها، حلّ الظلام واستطاعوا الوصول لما بعد الخطّ الفاصل فوجدوا أراضي تكاد تمتلئ بالقمح والعشب، فكّوا الأكياس عن خواصرهم وبدأوا بجزّ القمح ووضعوه في

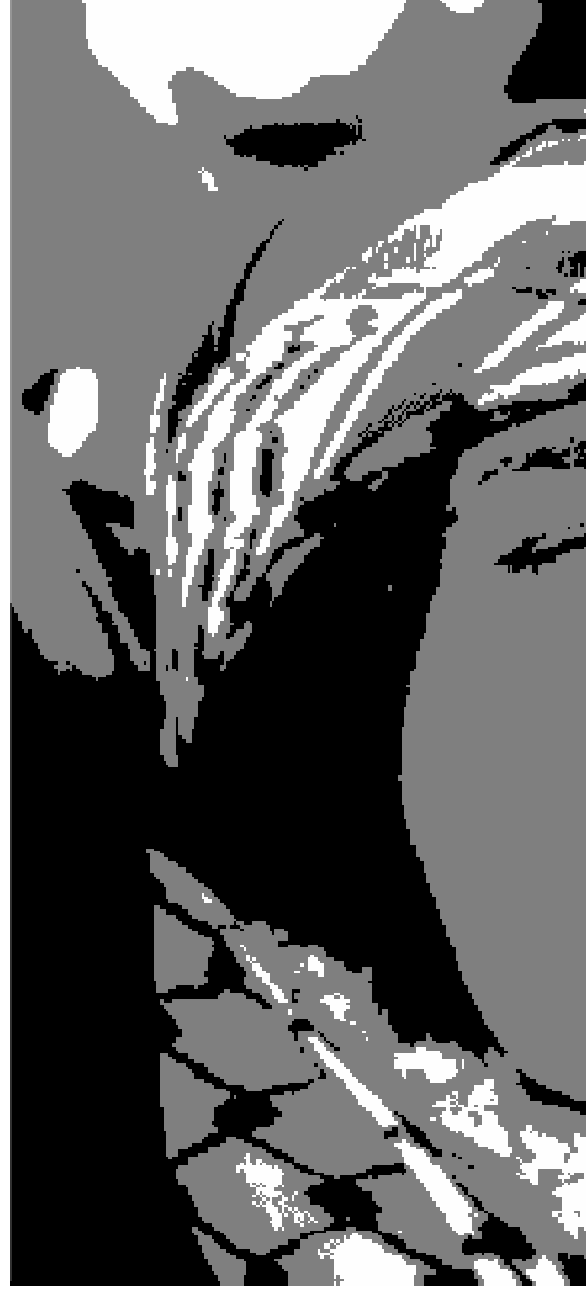

الكيس، لتفاجئهم رصاصاتٌ غادرةٌ أسقطت "أبا محمد" شهيداً وفرّرفيقاه لبيوتهم.

إنقشع الظلام، وبدأت تباشير الصباح تلوح في الأفق، و"أبو محمد" لا زال غائباً عن منزله وأطفاله، "أمّ محمد" تعدُّ الثانية وراء الأخرى، تنتظره وتكذّب بعض الأفكار التي تخطر ببالها، علّه يأتي بين لحظة وأخرى، فبعدما سئمت الانتظار اتجهت لبيت أصدقاء زوجها تسألهم أين هو رفيق دربها، لتتفاجأ بالنبأ: بأن زوجها استشهد..! بدأت تسأل عن جثته فأجابها صديقه: "من شدّة إطلاق النار لم نستطع سحبه".

انتظرت منتصف الليل، لبست ثوبها المطرّز، وحملت سكيناً على جانبها؛ وانطلقت، تعدّت الخط الفاصل، تخدّت الاحتلال، وفتّشت عن زوجها في كلّ مكان؛ غيرآبهةٍ بطلقات الاحتلال، فلم تعد تفكر في الموت، فهي تمنّت الموت في كل لحظة؛ لتلتحق برفيق دربها فإذا هي تعثر على الجثة حملتها على كتفيها ونبضات قلبها تسابق خطواتها؛ إلى أن وصلت لحيّها، وأقامت العزاء لزوجها..

وفي حكايةٍ مشابهة؛ فقدت إحدى الأمهات ابنها الذي كان من بين المتسللين لخط الموت، وعندما فقدته لساعات؛ لم تقبل بأن يذهب إخوانه ليحضروه خوفاً على إخوته، ذهبت هي بنفسها لتنقذه، وما إن تسللت للخط الفاصل واقتربت من جثّة ولدها حتى باغتتها رصاصاتٌ غادرةٌ أردتها شهيدةً إلى جانب جثّة ابنها.

قوة امرأة..!

ذات ملامح قوية تميل للسمرة، طويلة القامة تتوشح دائماً بالأسود، "عايدية".. اسمٌ كانت تهتزّ له منطقة الشجاعية، اسمٌ لامرأة كان الرجال يقفون لها احتراماً وخوفاً، احتراماً لشخصيتها القوية، وخوفاً من أعمالها أو أن تصيبهم بمكروه.

"عايدية" كانت تعمل على فكّ ربط الرجال، ويقال إنها لم تفشل ولا مرة في هذا الأمر، فلقد كان لها طقوساً خاصةً منها أن تُلبس الرجل ثوب امرأةٍ بالمقلوب، ومن ثمّ تأتي جرّةٍ من ماء البحر المالح وتسكبها على رأس الرجل وتتمتم بكلماتٍ مبهمة، وسرعان ما يُفكُّ الربط، كما يعتقد العامة عند الناس.

ولخوف الرجال منها أن تربطهم؛ كانوا يكنون لها سيلاً من الاحترامات خوفا من أذيتها، وكانت ما إن تسير في شوارع الشجاعية أو سوقها حتى يكيل الرجال لها أجمل العبارات والتحيات، ويقال إن شارعاً في ضواحي غزة سُمي باسم "عيدية" حاولت الغيداء أن تلتقي بأي شخص من عائلتها إلا أن العائلة بأكملها سافرت إلى السعودية وهذه المعلومات من جيران العائلة.

الحجّة "بديعة" هناك حي في المدينة يُسمي باسمها، فقد كانت تعمل خيّاطةً نسائيةً وتملك من الحنكة والذكاء الكثير، مما مكّنها من تكوين ثروةٍ باسمها، فقد كانت تقرض كلّ من يحتاج نقوداً، وكانت تملك العديد من الأراضي؛ حيث كان لها بيارة تقدّر بمئات الدونمات.

ويُشار إلى أنه في حارة "التوفين" في الشجاعية بغزة هناك بيارة تسمي "بيارة الحجّة بديعة" وكانت تسافر للعديد من الدول المجاورة لتأتي بالقماش الجيّد لتحيكه للنساء، وكانت كبار العائلات والأسر الراقية يستدينون منها في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي.

من ناحيةٍ أخرى؛ قال الباحث "أحمد مراوت": "شاركت المرأة الفلسطينية بفاعليةٍ في النضال الوطني عبر التاريخ الفلسطيني، وفي العام 1948 شكّل عددٌ من النسوة في يافا فرقةً نسائيةً سريةً للتحريض وتزويد الثوار بالأسلحة والتموين باسم "زهرة الأقحوان" وفي نفس الفترة تشكّلت جمعية "التضامن النسائي" للقيام بأعمال التمريض والإسعاف، وتبعها لاحقاً الكثير من الجمعيات الخيرية والثقافية؛ وحتى محو الأمية وكانت المرأة تتسابق في المدن والقرى الفلسطينية لتشكيل جسم شرعي يمثّلها ويجعل لها كياناً في المجتمع العربي والفلسطيني على حدٍ سواء.

أول مصوّرة

ظهرت أول امرأة فلسطينية في مهنة التصوير الفوتوغرافي، وهي "كريمة عبود" ابنة الناصرة، والتي احترفت مهنة التصوير الفوتوغرافي في فترة مبكرة لتدخل التاريخ، كونها عنصراً نسائياً افتقد نوعاً من الحرية تجاه الكثير من المهن التي تحتاج إلى شيءٍ من الحريات.

وكانت "كريمة" النموذج الإيجابي للفتاة الفلسطينية، التي بدورها قاومت الفشل وعملت على خلق شخصيةٍ قويةٍ للفتاة الفلسطينية التي تعتمد على نفسها وتعمل بقوّتها في الميدان، والمشاركة في صنع القرار في مجتمعها الذي يحيا فيه، في وقتٍ كان يُحظر على الفتاة أن تتعلم أو أن تتساوى مع الرجل.

ومع هذا؛ فقد خرجت المرأة الفلسطينية تنشط وتتبرع وتساهم في كافة المجالات في فلسطين، واضعةً لنفسها مبادئ وأسساً تتماشى مع كينونتها كامرأةٍ مثقفةٍ يتوجّب عليها أن تتسلّح بالشهادات العلمية كمصدرٍ للنجاح.

ولا شكّ بأن المرأة الفلسطينية قد تأثرت بنكبة العام 1948، وتفتيت البنية الاقتصادية والاجتماعية، واقتلاع آلاف الفلسطينيين من بيوتهم، وعاشت هول النكبة وعمق المأساة، الأمر الذي عزّز لديها الشعور بالانتماء للوطن كأيّ رجل، مما دفع لتطور مستوى مشاركتها في العمل السياسي والكفاحي.●●

شيرين خليفة

آثار غزة
كنوز غالية عن وعي المواطن والمسؤول

"وصلت المرحلة الجامعية وما زلت أستغرب أسماء بعض الأماكن الأثرية في قطاع غزة، لم أشاهدها ولا أعرف عنها شيئاً..". هكذا تحدّثت الشابة "أسماء" (20عاماً) حين سألتها عن معلوماتها حول الآثار الفلسطينية في قطاع غزة

الشابة "أسماء" تنفي أن يكون هناك وعياً جاداً بهذا الشأن، وتضيف: "..معلوماتي عن الآثار في غزة أو فلسطين لاتتعدّى الإطار النظري غالباً، وإن كان هناك قلة من هذه الآثار قمنا بزيارتها في رحلات مدرسية، مثل "قلعة برقوق" في خانيونس أو "قصر الباشا" أعتقد أن المناهج بيّنت -إلى حد ما- بعض هذه الآثار في فلسطين، وخاصةً الأماكن الأثرية في قطاع غزة..".

محدودية الوعي

وبدا سؤالي مفاجئاً حين سألتها "إن كانت تدرك الأهمية التاريخية لهذه الآثار؟" وردّت بعد تردد: "..ليس لدينا الوعي الكامل بأهمية هذه الأماكن وعمقها التاريخي، صحيح أن هناك مرشداً يوضح لنا هذه الأماكن، لكنّ المعلومات التي يُقدمها لا تكفي لتقنع طلاب المدارس بأهمية هذه الآثار وكيفية الحفاظ عليها..".

وأضافت: "..باقي الآثار في الضفة الغربية والقدس بقيت في الإطار النظري، ندرسها حرفياً ونقدّم الاختبارات عنها دون زيارتها ولو لمرةٍ واحدة، برأيي: يرجع ذلك إلى قصور المناهج في توضيح ذلك، ومنع الاحتلال الاسرائيلي المواطنين في غزة من زيارة هذه الأماكن الأثرية..".

يوافقها الرأي الشاب "محمود محسن" (21عاماً) والذي قال: "..في فترة الدراسة قمنا برحلات مدرسيةٍ زرنا خلالها بعض الأماكن الأثرية، لكن هناك الكثير من الأماكن التي لم أسمع بها ولم أزرها، مثل مسجد كاتب ولاية؛ الذي يعود للعصر المملوكي".

وحين سألته عن وعي الشباب الفلسطيني بأهمية هذه الآثار قال: "..ليس لدينا أية معلومات عن الأماكن الأثرية الفلسطينية، ولا أعتقد أنّ هذا الموضوع جزء من حديث الشباب، من المفترض أن تكون هناك جهة رسمية تشرح هذا للمواطنين، وتشرح كيف تحفظ الآثار، الموضوع يحتاج إلى جهدٍ منظمٍ من الجميع كي يكون ناجحا..". الصحفي "عماد أبو شاويش" المهتمّ بموضوع الآثار قال: "كصحفي وشاب؛ لا أعتقد أنّ هناك وعياً كافياً بالآثار، هناك الكثير من الأماكن الجميلة التي تستحق الزيارة ذات يوم كنت أعدّ تحقيقاً متعلقاً بالآثار، تفاجأت بأن الجامعة العبرية لديها معلومات عن آثارنا أكثر منّا نحن في غزة..! وهذا غير لائق بنا".

"أبو شاويش" (الذي يسكن في النصيرات وسط قطاع غزة) يضيف: "..في منطقتنا يقع موقع "تل أم عامر" كنت قبل عدة سنوات أقوم بزيارته، مع الوقت كنت ألاحظ أنّ هناك أشياء تختفي من المكان، منها عامود جرانيت، ولم يحظَ المكان بحراسةٍ إلا حين تمّ تنفيذ مشروع من "اليونسكو" لترميم المكان قبل عامين..".

ويعتقد "عماد" أنّ "أحد الأسباب وراء تدمير وتخريب الأماكن الأثرية في غزة؛ هو تعامل المواطنين وخصوصاً الأطفال مع هذه الآثار على أنها أماكن قديمة ومهجورة، وليست مواقع أثرية لها احترامها ومكانتها التاريخية، وعدم وعي المواطن أن هذه الآثار وثائق تاريخية تثبت الحقّ الفلسطيني في أرض فلسطين..".

كنوزنا هويتنا

د."خالد صافي" (أستاذ التاريخ بجامعة الأقصى) يقول: "باعتقادي؛ وعي المواطن الفلسطيني بالآثار ليس جيداً، فانشغال الإنسان بقوت يومه وبأولويات الحياة وبأحداثها اليومية بدا غالباً على اهتمامه بزيارة هذه الأماكن..".

ويعتبر "صافي" أن: "..الوعي بالآثار على مستوى المواطن يعني أن يدرك المواطن أهمية هذه الآثار وعلاقتها بماضيه، وأنّ هذا الوعي هو الذي يجعل الفلسطيني يهتم بهويته الوطنية، فالآثار لها ارتباطٌ وطنيٌّ كبيرٌ بالهوية الفلسطينية..".

لكنّ قلّة وعي الإنسان الفلسطيني بأهمية هذه الآثار أثّر سلباً؛ ليس فقط على مستوى المعلومات؛ بل على مستوى سلوك المواطن في التعامل مع هذه الآثار.

وينتقد "صافي" سلوك الكثيرين من المواطنين قائلاً: "..هناك أشياء ومقتنيات تعرّضت للتلف، وقبورٌ رومليةٌ تعرّضت للتكسير، شاهدت سلوكيات فيها تخريبٌ وإتلافٌ في أكثر من مكان، هناك

مواقع تعرّضت للتخريب لأسباب اقتصادية بحتة، كبيوت غزة القديمة؛ التي تتعرّض للهدم من أجل بناء مساكن بدلاً منها. هذا يدل على قلّة وعي عام تنتج هذه السلوكيات..". ويحمّل د. "صافي" الجميع مسئولية الحفاظ على هذه الآثار، على مستوى المواطن والمسئول. فكلّ شخص في موقعه يجب أن يقوم بدوره في الحفاظ على هذه الآثار ورعايتها وعدم تعريضها للتخريب والإتلاف. وحول مناهج التعليم في المدارس يؤكد د. "صافي": "..مناهج التعليم لم تطرح موضوع الآثار بالعمق المطلوب لتوعية الطالب بآثار بلاده، لكنّ المنهاج الحالي أفضل من السابق. فمادّة التربية الوطنية تتناول موضوع الآثار، وهي خطوةٌ في الاتجاه الصحيح. لكن يبقى هناك إشكاليةٌ في المناهج الدراسية، إذ لا توجد توعيةٌ كافيةٌ في موضوع الآثار وأهميتها وكيفية الحفاظ عليها..".

ويوضّح: "..إنّ المدرسين أنفسهم -في كثير من الأحيان- لا يعرفون المواقع الأثرية بشكلٍ جيد، فهذه المادة تحتاج إلى زياراتٍ ميدانية، وأن يتمّ تنظيم دوراتٍ لمدرسي التربية الوطنية، لتوعيتهم بموضوع الآثار الفلسطينية بشكلٍ كامل. وهذه مسئولية وزارة السياحة والآثار، وكثيراً ما يتم اكتشاف مواقع أثرية تحتاج إلى تنظيم زيارات إليها ونشر معلومات حولها..".

دور الإعلام

وحمّل د. "صافي" الإعلام جانباً كبيراً من المسئولية، إذ أنّ الإعلام الفلسطيني لا يتناول موضوع الآثار بشكلٍ جيد، ولا يقدمه للجمهور بطريقةٍ تسهم في توعيته وربطه بعمقه التاريخي، عملاً بالمسئولية التثقيفية للإعلام..".

توافقه الرأي الصحافية "تغريد العمور" (المذيعة بإذاعة ألوان) إذ تقول: "أتفق تماماً مع هذا الرأي، فالآثار يتم تناولها في الإعلام المحلي -غالباً- كخبر حين تنشره وزارة السياحة والآثار، ما دون ذلك؛ لا أعتقد أنه تمّ تناول الآثار بشكلٍ أوسع، لا يوجد توعيةٌ للمواطنين أو تسليط الضوء على أماكن أثرية معينة..".

وتضيف: "..أجندة الإعلام المحلي غالباً سياسيةٌ واجتماعيةٌ نتيجةً للوضع العام الذي يجعل ارتباط المواطن أكثر بهذا الشأن، لكنّ هذا لا يمنع أن يبادر الإعلام إلى تسليط الضوء على موضوع الآثار بكافّة جوانبه..."

"العمور" لا تحمّل الاعلام وحده المسؤولية؛ فهناك دورٌ كبيرٌ يجب أن يكون لوزارة السياحة والآثار، لتوعية الإعلاميين وتزويدهم بالمعلومات التي يستندون إليها عند تناول موضوع الآثار، كذلك لفت انتباههم لهذه القضية..".

وتعبّر "العمور" عن أسفها للكثير من الأخبار التي تمر -خاصةً على الإذاعات المحلية- مرور الكرام، دون أن يتوقف عندها الإعلام كثيراً. فمؤخراً كان هناك خبراً مفاده أن إسرائيل سرقت كميات كبيرة من الآثار الفلسطينية منذ عام 1967 حتى الآن، وهذا كان يجب أن يستوقف الإعلاميين كثيراً، لكن للأسف لم يحدث..".

اعرف بلدك

الواقع ليس سوداوياً تماماً، فموضوع قلّة الوعي بالآثار أثار حفيظة مجموعةٍ من الشباب الفلسطيني، الذين شكّلوا معاً مبادرةً خاصةً بهم، أطلقوا عليها اسم "إعرف بلدك". أنشأ هؤلاء الشبان الثلاثة صفحةً خاصةً بهم على الفيسبوك، ومدونةً وموقعاً على اليوتيوب، قاموا من خلال وسائل الإعلام الاجتماعي (وبجهودٍ فرديةٍ وبوسائل بسيطةٍ خاصةٍ بهم، من كاميرات وأجهزة كمبيوتر محمول) بإنتاج أفلامٍ وثائقيةٍ تمّ نشرها عبر وسائل الإعلام التفاعلي.

"عاصف الخزندار" (أحد هؤلاء الشبان) قال عن مبادرته: "أنا وأصدقائي رأينا أنّ الناس لا تعرف تماماً أهمية الآثار، وهناك الكثير منها غير معلوم لهم، من هنا؛ نبعت الفكرة، أن نسلّط الضوء على هذه الآثار، من الطبيعي أنّ الاحتلال يسعى لطمس هذه المعالم الأثرية، لذا؛ يجب أن نعرف تاريخنا كي نعرف فلسطين، ونعرف ارتباطنا بهذه الأرض إلى أي عمقٍ تاريخي يمتد".

ويعبّر "الخزندار" عن صدمته للتلف الذي لحق ببعض المواقع الأثرية فيقول: "..حين زرنا أنا وزملائي موقع مقام الخضر في دير البلح فوجئنا بأنه مغلق وأنّ المفتاح تحتفظ به سيدةٌ عجوزٌ تتعامل معه وكأنه ملكاً لها ورثته عن أجدادها، وحين دخلناه وجدناه مدمراً، فوجئنا أيضاً من آثار حرق بداخله، وبعض القمامة، هذا المكان أثريّ وينبغي الحفاظ عليه". وبعد الجولة السياحية التي قام بها "الخزندار" في قطاع غزة يؤكد أنّ: "المواقع الأثرية بحاجةٍ إلى حملة توعيةٍ للحفاظ عليها وإلى جهودٍ منظّمةٍ تحفظها من التلف. صحيح أنّ وزارة السياحة والآثار تعاونت معنا في توفير المعلومات الرئيسية التي انطلقنا منها لتنفيذ مبادرتنا، إلا أن الوزارة يجب أن تقوم بما هو أكثر من ذلك، فمعظم المشاريع التي زرناها وتعمل في حفظ الآثار هي مشاريع فرنسية..".

ويكمل: "..حتى أنا كشاب لم أكن أعرف هذه المواقع قبل المبادرة، وكنت أسأل نفسي عن شعوري وأنا أجهل تاريخ بلدي، تاريخي وهويتي، بصراحة! شعورٌ غيرُ جميلٍ لا يليق بشاب، وأعتقد أنّ هذا هو شعور كلّ شاب حين تتوجه له بسؤالٍ عن الآثار". وقد أنتجت مبادرة "إعرف بلدك" حتى الآن خمسة أفلام وثائقية عن المساجد والكنائس والأديرة والمقامات والمباني الأثرية في قطاع غزة. ويبقى موضوع الوعي بالآثار وأهميتها وكيفية الحفاظ عليها رهناً بجهدٍ منظّمٍ تبذله وزارة السياحة والآثار بالتعاون مع كافة القطاعات، سواءً على مستوى التعليم أو الإعلام، وصولاً لتحقيق الهدف المنشود.

بدورها أكدت مسئول المواقع الأثرية في وزارة السياحة والآثار بقطاع غزة هيام البيطار، أن هناك بالفعل قلة وعي بالآثار وأهميتها في قطاع غزة، مضيفة أن هذه المشكلة شائكة جداً لها تراكمات منذ عهد الاحتلال وحتى في عهد الحكومات السابقة.

وأضافت "عملية تغيير الوعي تجاه الآثار تحتاج إلى وقت وجهد وتضافر جهود كل المؤسسات، فنحن على قدر المستطاع وعلى قدر التوفر نعقد ورشات عمل حول هذا الموضوع، ونتواصل مع أصحاب البيوت الأثرية للحفاظ عليها، لأن هناك بيوت تقع في إطار الملكية الخاصة، ولا يوجد إمكانيات مالية لتعويض أصحاب هذه البيوت، بالتالي يبقى خطر بيعها أو إخبارها قائما".

وتابعت بأن النواحي العمرانية تؤثر على الآثار خاصة وان غزة مليئة بالآثار التي لم يتم اكتشافها بعد، مضيفةً "هناك في غزة آثار تحاول إلقاء الضوء عليها، ولدينا أول متحف حكومي في قطاع غزة هو متحف قصر الباشا، يتم فيه عرض قطع أثرية وبروشور صغير لكل موقع أثري."

وعن تدني الوعي بالآثار أيضا قالت البيطار بأن المسئولية تقع أيضا على عاتق المدرسين في المدارس، الذين لا يمتلكون المعلومات الكافية حول موضوع الآثار، فحتى الدليل التعريفي الذي تم توزيعه على المدارس ربما لا يوجد حصة فراغ من اجل عرضه على الطلاب.

لكن البيطار أشارت إلى أن الخطة المستقبلية للوزارة تشمل التواصل مع كافة الوزارات بما فيها وزارة التربية والتعليم بهدف التوعية بهذا الموضوع الهام، وكذلك سيتم طباعة 5000 نسخة من الدليل التعريفي بالآثار.

حسن دوحان

80 فتاة ينفضن غبار الانقسام والحصار والفقر ويشاركن في أعمال إبداعية لإحياء ذكرى النكبة

تميّزت فعاليات إحياء الذكرى الرابعة والستين للنكبة بالعديد من الأعمال والمبادرات الشبابية والنسوية؛ والتي ركّزت على الطابع التاريخي والتراثي لفلسطين؛ في محاولةٍ لربط الأجيال الجديدة بتاريخهم وتراثهم، ونقل عبق الماضي وتجلّياته لهم، ليتجاوز مرارة الواقع ويبعث الأمل والحياة في النفوس باستعادة الأمجاد والأرض والتاريخ..

رسوماتٌ خشبيةٌ لمدن وقرى فلسطين، وأخرى على الزجاج.. ومعارض صور جوّالة، ولقاءاتٍ شعرية وفنية وورشات عمل، وغيرها من الفعاليات والمبادرات التي تعكس اهتمامات وتطلّعات الشباب نحو المستقبل، ومحاولاتهم لتجاوز أزمات الواقع من الانقسام والبطالة والحصار إلى قضية الوطن المسلوب الذي يُشكّل أساس الصراع والقضية الفلسطينية..

الثوب الفلسطيني

ذكريات مأساة النكبة عام 1948 بحاجةٍ إلى أعمالٍ تُجسّدها وتغرسها في عقول ووجدان الأجيال الشابة بطرقٍ تتجاوز التقليد والمألوف إلى إبداعاتٍ متميّزة، حيث عملت عددٌ من المؤسسات الأهلية على تبنّي مبادرات الشباب وتحويلها إلى نشاطاتٍ مجتمعيةٍ ينخرطون فيها؛ لتأكيد وعيهم والتصاقهم بقضيتهم ووطنهم رغم مرور الزمن.

في مقر "الجمعية الفلسطينية للتنمية وحملة التراث" بشمال غزة بادرت سبعُ شاباتٍ لرسم لوحةٍ فنيةٍ لسيدةٍ تلبس الثوب الفلسطيني و"عُقد" مفتاح العودة، وتحمل على رأسها جرّة، حيث تمّ عرضُها على إحدى واجهات مبنى رشاد الشوا في ذكرى النكبة.

تقول "شوقة علي" (22 سنة، وهي إحدى المتطوّعات في "الجمعية الفلسطينية للتنمية و حماية التراث") أنها ومعها ستّ فتيات متطوّعات قُمنّ بإنجاز ثوبٍ فلسطيني مضيفةً: "قمنا بإنجاز الثوب الفلسطيني لتجسيد الثقافة والتراث والهوية الفلسطينية، فتم إنجازه بطول 5 متر وعرض 2.5 متراً، وتمّ اتّخاذ ألوان العلم الأبيض والأحمر والأخضر والأسود، إضافة للون الطوب الفلسطيني البُنّي والبيج، لتكون ألوان الثوب الفلسطيني".

وتضيف: "رسالتنا للشباب والأجيال القادمة: التمسك بتاريخهم، وللفتيات: العمل والمشاركة المجتمعية والإبداع لدعم قضايا شعبنا، ومشاركة المجتمع في مناسباته، وزرع حبّ الوطن والأرض والقضية والتراث والتاريخ والثقافة في الأبناء والإخوة والأخوات" موضحةً أنّ: "كل غُرزة فيه تحكي قصّة صبية أو بيت في قطاع غزة". ويُوضح "ظريف السلطان" (منسق مبادرة الثوب الفلسطيني): "نحن مجموعة مبادرين من "الجمعية الفلسطينية للتنمية وحماية التراث" حصلنا على دعمٍ بمبلغ 2000 دولار من "جمعية تنظيم وحماية الأسرة الفلسطينية" وبتمويل من "صندوق الأمم المتحدة للسكان" وذلك لعمل ثوب لإحياء التراث الفلسطيني".

الرسم على الجدران والأخشاب

وفي مبادرةٍ أخرى أنجز خمسة فنانين فلسطينيين أكثر من 30 لوحة مرسومة على الخشب ومحروقة للمدن الفلسطينية المحتلة، تمّ توزيعها على المؤسسات في ذكرى النكبة؛ لحفرها وغرسها في وجدان وعقول الشباب.

ويؤكّد الفنان التشكيلي "محمد أبو لحية" (منسق المبادرة) أنه تمّ إنجاز 30 عمل فني على لوحات الخشب عن المدن الفلسطينية،

وتمّ توزيعها على البلديات والجامعات بالتنسيق والدعم من " جمعية تنظيم و حماية الأسرة.

ويشير "أبو لحية" إلى أن "25 فناناً تشكيلياً - نصفهم من الفتيات- أنجزوا نحو عشرين لوحة شاركوا فيها في معرض بخانيونس بالتعاون مع "اللجنة الشعبية لشؤون اللاجئين" بالمدينة إضافةً إلى إقامة جدارية إحياءً لذكرى النكبة". وتقول الفنانة التشكيلية "جُلاء أبو خلة": "لقد أنجزنا أكثر من 30 لوحة عبر الرسم والحرق على الخشب للمدن والقرى الفلسطينية؛ وذلك لتعريف الجيل الجديد على مدنه وقراه المحتلة، وبعد عرضها في المعرض قمنا بإهدائها للوزارات والبلديات والمؤسسات التعليمية..".

وتُوضح "أبو خلة" أن ".أسلوب الرسم والحرق على الخشب لا يُتقنه إلا عددٌ قليل، وبالتالي: عملنا على نشرها من خلال تدريب طلاب قسم الفنون بجامعة الأقصى و مشاركتهم في إحياء النكبة والحنين إلى الماضي..".

وتشير إلى أنّ ".عدداً من الفنانين والفنانات التشكيليات شاركن في إقامة مهرجان في ذكرى النكبة؛ من خلال معرض فنّي دعمته "رابطة الفنانين في خانيونس" إضافةً إلى إقامة جدارية تحت إسمنتية، وجدارية ألوان في غزة بمنطقة الجندي المجهول..".

الزيتون.. الهوية..

وقد عكفت مجموعةٌ من الشباب والشابات على عقد ورشة عمل ومعرض صور لعرض مأساة النكبة وأشياء قديمة تحاكيها وتجسّدها، تقول "رائدة سكر" (مسئولة برنامج الشباب في جمعية الوداد للتأهيل المجتمعي): ".عمل 45 شاب من الجنسين، منهم 20 صبية من المحافظات والجامعات على إقامة معرضٍ للصور وورشة عمل عن النكبة..".

وتُضيف "سكر" أنّ: "..الفعالية سنوية، تنظمها " جمعية الوداد" في مقرّها بغزة؛ لإحياء ذكرى النكبة، ويحضرها أعضاء من الجمعيات الشريكة، وتعمل على استضافة إحدى السيدات كبار السنّ؛ اللواتي عاصرن النكبة، والهدف منها مشاركة الجيل الجديد؛ ليكونُ على وعيٍ بتاريخه وثقافته، وليتعرّف على أحداث النكبة التي لم يعاصرها.." وفق قولها.

ويقول "أيمن أبو كريم" (مسئول برنامج الشباب بجمعية الوداد للتأهيل المجتمعي): "المعرض يهدف لإحياء ذكرى النكبة، وتفعيل الشباب والثقافة الوطنية، وتعزيز تمسكهم بالقضية..".

ولأنه وأسرته يعانون الويلات من ظلم الاحتلال واقتلاعهم لأشجار الزيتون المعمّرة التي رووها بدمهم وعرقهم؛ اختار الشاب "تامر الزعانين" مبادرةً في ذكرى النكبة بإقامة خيمةٍ وإعادة زراعة الأرض بأشجار الزيتون في المناطق العازلة شرق غزة؛ بمشاركة زميلٍ آخر معه، إذ قاما بزراعة 25 شجرة زيتون في ذكرى النكبة، حيث كان قد زرع في ذكرى يوم الأرض نفس العدد من أشجار الزيتون.

سجّل أنا فلسطيني..!

ويُوضح " مرعي بشير"(استشاري مشروع "فليكن منكم التغيير" والذي يحمل شعار "سجّل أنا فلسطيني") أن "المشروع الذي تنفّذه " جمعية تنظيم و حماية الأسرة الفلسطينية" بالشراكة مع " صندوق الأمم المتحدة للسكان" يهدف إلى تعزيز مشاركة الشباب المجتمعية، ويستهدف 200 شاب من كلا الجنسين تقدموا بمبادراتٍ إبداعيةٍ وخلاقة بلغت 65 مبادرة، جزءٌ منها يتعلق بإحياء ذكرى النكبة".

ويقول "بشير": "..المشروع جاء استجابةً لاحتياجات الشباب؛ في ظلّ حالة الإحباط التي يعيشونها، فالمشروع يمثّل للشباب حاضنةً للارتقاء بواقعهم وتغييره إلى واقعٍ إيجابي".

ويشير إلى التقدم بمبادرة من قبل فنانين وفنّانات تشكيليات فلسطينيات تمّ فيها الرسم على الزجاج، وذلك بعمل لوحاتٍ فنيةً من التراث الفلسطيني على نوافذ المناطق الأثرية والمؤسسات الحكومية والأهلية وبعض المطاعم؛ بهدف تعميق مفهوم الهوية والوطن. بالإضافة إلى مبادرة بعنوان "حكاية شعب في صورة" والتي تمثّلت بإقامة معرض صور طيار تمّ من خلاله إقامة معارض في أكثر من مكان لصور وفيديوهات قديمة ونادرة عن النكبة؛ تجسّد تاريخ وقضية الشعب الفلسطيني..

أسبوع الأغنية

وحسب "بشير" فإن "مجموعة شمس الكرامة للثقافة والفنون" تقدّمت بمبادرة بعنوان "تراثي وهويتي ودمي" أحييت من خلالها ذكرى النكبة؛ متمثلةً بالاحتفالات واللقاءات الشعبية، حيث عملت الفرقة على إقامة أسبوع الأغنية الفلسطينية؛ الذي تضمّن الأغاني التراثية واللقاءات الشعبية وغيرذلك..

ويؤكد بشير أن نسبة مشاركة الفتيات في مبادرات " جمعية تنظيم الأسرة" كبيرةً وتُقدّر بـ80 فتاة من أصل 120 شاب وفتاة يشاركون في المرحلة الثانية من المشروع.

وعي وإصرار الشباب

وتؤكد "حنين رزق" (المدربة في المبادرات والناشطة الاجتماعية النسوية في المجتمع المدني) أن "مشاركة الشباب في إحياء ذكرى النكبة من خلال مبادرات وفعاليات نوعية وإبداعية تعكس وعياً شبابياً بالنكبة، واهتماماً بالنا سبات الوطنية وبتاريخ شعبنا ومعاناة أهلنا." معتبرةً تلك المبادرات بأنها "..مشاركة إيجابية باتجاه تحقيق الانتماء المجتمعي والوجداني بالأرض وبالهوية.. وتؤكد إيمانهم بحقّ العودة وتمسّكهم بالأرض..".

وتشير "رزق" إلى أنّ "..الشباب واجهوا مشاكل ومعوّقات كثيرةً في طريقهم لتنفيذ مبادراتهم، أهمها: عدم توفّر البيانات والمعلومات والمصادر عن النكبة، لكنهم بإرادةٍ كبيرةٍ وإصرارٍ على الإنجاز تغلّبوا عليها..".

وتقول "رزق": "..المبادرات كانت متنوّعة ما بين الثوب الفلسطيني والآثار والتاريخ، وتمكّن المبادرون من تجسيد المدن والقرى والمجاز، وجغرافيا وتاريخ وتراث وتضحيات شعبنا في مبادراتهم المبدعة..".

وتُوضح "رزق" أنّ "..المبادرات كانت نابعةً من احتياجات الشباب، والمؤسسات الدولية حاولت توجيههم للابتعاد عن تلك المبادرات؛ التي تعكس انتماءهم وحقوقهم، إلا أنها اصطدمت بإصرار الشباب، كما أن مؤسسات الدول الاسكندنافية تنادي بالحقوق وتدعمها؛ عكس المؤسسات الأمريكية؛ التي لا تريد تسليط الضوء على حقوق شعبنا"..

وتوقّعت "رزق" أن تفتح تلك المبادرات المجال أكثر فأكثر أمام إبداعات الشباب، وأن يتم تشكيل مجموعاتٍ شبابيةً على شبكات التواصل الاجتماعي بشكلٍ أكبر؛ ليتمّ تبنّيها والعمل المشترك بما يخدم قضايا شعبنا، وتضيف مستدركةً: "..لكن بالفعل تمّ تكوين مجموعات عبر الإنترنت؛ شكّلت نفسها ذاتياً لحماية التراث والهوية، ويتمّ التفاعل معها بشكلٍ كبير من قبل الشباب".

مبادرات الشابات تفتح المجال واسعاً لتقديم مزيدٍ من الأعمال الإبداعية التي تُرسّخ الانتماء للأرض، وتعزّز حقّ العودة في قلوب وعقول الشباب، وتجعلهم أكثر التصاقاً بأرضهم المسلوبة.

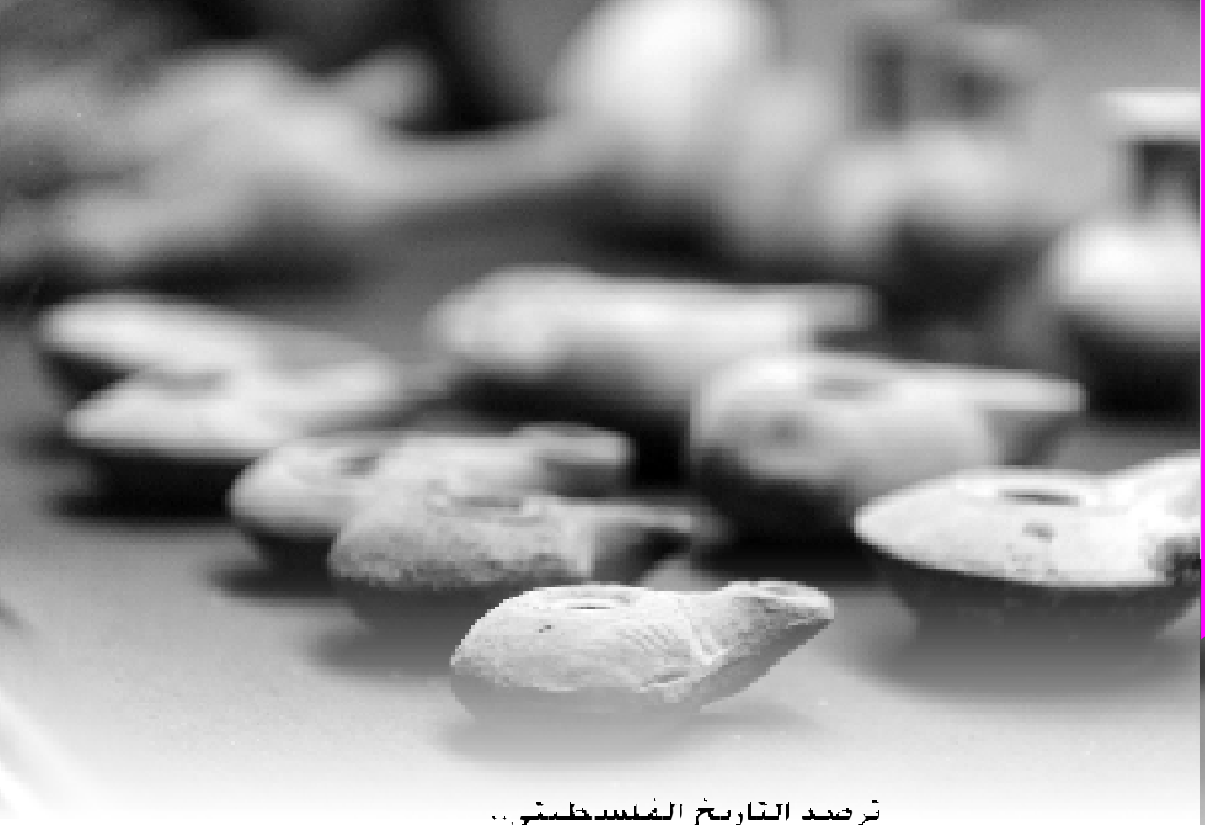

محمد عثمان

ترصد التاريخ الفلسطيني..

آثار غزة.. شواهد على الماضي تشكو الإهمال والتدمير

67 عاماً مرّت على وفاة 210 ألف مواطن يابلي إثر سقوط قنبلتي "الصبي الصغير" و"الرجل السمين" النوويتين على مدينتي "هيروشيما" و"ناجازاكي"..إلا أنك لو زرت متحف "ناجازاكي" لشعرت أنك تعيش تلكَ اللحظات بتفاصيلها، فاليابانيون استثمروا الدمار الذي تعرّضت له المدينتان للتأريخ للحدث، والمتحف يزخر ببقايا المباني المُدمّرة، حتى أنه يُحتفظ بساعة يدٍ لأحد الضحايا توقفت عقاربها على موعد انفجار القنبلة..!

وفي غزة؛ فإنّ "قصر الباشا" الذي زاد عمره عن السبعمائة عام؛ لا دلالات واضحة فيه توحي بأنه كانَ قصراً لـ"الظاهر بيبرس" سوى رمزين (رنكين) لأسدين هما شعارا "بيبرس" فلا يزيّنه الأثاث الذي كان يجلسُ عليه القائد المملوكي، ولا من لحقوه من حكّام لغزة، وهذا نموذجٌ يُحاكي وضع الآثار الفلسطينية المتدهور في قطاع غزة. أو ليسَ الأجدر بنا أن نهتمَّ بآثارنا أو على الأقل نخاف عليها من الضياع والسرقة والتدمير؟

التاريخ أكبر من أن يكون مجرد سنواتٍ وأحداث فهو - بكلّ اختصار- تلخيصٌ صادقٌ لأحداث وخبايا احتفت بها الحجارة والرخام..وكم من الجيّد أن ترى التاريخ ماثلاً أمام عينيك بأعمدته وحجارته وأبنيته حجراً فوق حجرٍ وطبقةً فوق طبقةٍ وعاماً بعد عام.

وكم هو سيئٌ وصعبٌ أن ترى التاريخ متناثراً بحجارته، ضائعاً بين إهمالٍ هنا وهناك، تتقاذفه أيدي العابثين به دون خجلٍ أو وجلٍ؛ غاضّين الطرْف عما يمثّله ويعنيه.

إهمالٌ بـ"الثلاثة"..!

غزّة القديمة.. إنْ خطوت بقدميك فيها متجولاً بينَ أزقّتها الضيّقة العامرة بالبيوت القديمة ذات الطراز المعماري الإسلاميّ العربي، أو إلى أحد الشوارع العريضة التي يتعانق فيها الجامع مع الكنيسة، وتستقرّ بالقرب منهما حارة اليهود القديمة؛ فيما كانوا يُشكّلون قديماً صورةً من أجمل صور التعايش الديني.

حتى أنّك فيها سترى التاريخ بأبهى وأروع صوره مجسّداً في تلك البقعة الصغيرة من "غزة القديمة". لكن؛ ما إن تتوغّل داخلها شيئاً فشيئاً حتى تُصدم من حالها الذي أصبح يُرثى له.

بيوتُها الأثرية التي كان من المفترض أن تزيّنها النقوش والفن المعماري الإسلامي تناثر حجارتُها هنا وهناك، تحوّلت إلى مكبّات للطيور النافقة وللنفايات التي تُحرق فيها، وأصبحت جدرانها -بنقوشها وفسيفسائها الجميلة- سوداء اكتنفَ جرّاء النيران والدخان، وأخرى أصبحت حماماتٍ عشوائيةً لقضاء الحاجة لمن أراد خرابةً ليستخدمها كبيتٍ لراحته دون اكتراث لتاريخها وأهميتها وللذوق العام، وأخرى نالت الدوابُّ حظاً منها؛ حيث أصبحت مستقراً لها بجميع أنواعها من خيولٍ وحميرٍ في نهاية كلّ يومٍ تخرج فيه تلك الدواب للعمل.

"عبد الرحمن محمود أبو شعبان" شابٌّ من سكان مدينة غزة القديمة؛ حيث تعود ملكية بيتٍ أثريٍ مهملٍ لهم. يقول "عبد الرحمن" والحزن يبدو في نبرة صوته: "البيت هو أثريٌّ قديمٌ، نحن من المالكين؛ ومعنا ورثةٌ آخرون. كنّا في السابق نهتم به لأنه يمثّل أثراً تراثياً تاريخياً عريقاً، خاصةً أن آثار قطاع غزة الآن محدودةٌ جداً، وأن المبنى موجودٌ في سوقٍ أثريٍّ قديمٍ أيضاً..".

ويتابع: "كنّا نذهب إلى وزارة الآثار باستمرار كي تولي اهتماماً به؛ لكنّها لم تكن تهتم بمثل هذه المباني كثيراً، والخلافات بين الورثة على هذا المنزل الأثريّ هي التي لم تشجّع أحداً على أن يضع حجراً فيه أو إعادة

ترميمه. لكن لو توجهت وزارة السياحة والآثار للورثة لأخذ الموافقة منهم لإعادة ترميمه واستغلاله لكان أفضل من أن يكون مكباً للنفايات.. فلن يقولوا شيئاً..".

ويضيف "عبد الرحمن" وزارة الآثار في حكومة غزة أولت اهتمامها لمثل هذه البيوت، وقد قامت بترميم بعضٍ منها؛ مثل بيت "آل العلمي" في غزة القديمة، وألوم البلدية لأنها لا تهتم، فمن المفترض أن تهتمّ أكثر وتمنع الناس من رمي القمامة هنا وحرقها، وعليها توجيه المخالفات لكلّ من يخترق المنع"..

ورثة..!

أكد العديد - سواء من السكان أو الجهات الرسمية وغير الرسمية- أنّ "هناك العديد من المشاكل التي تعترض قضية ترميم المباني الأثرية؛ منها: الحصار، وقضية تعدّد الورثة.." وهذا ما يشير إليه أيضاً الدكتور "محمد خلّة" (المدير العام في وزارة السياحة والآثار): "بالنسبة للبيوت الأثرية؛ فإنّ المشكلة التي نعاني منها هي ورثة هذه البيوت، والتي تلعب دوراً كبيراً في إعاقة عملية ترميمها والمحافظة عليها، فتجد خمسين وريثاً، ما يُعقّد الأمور بشكلٍ كبير..".

بذكر أن وزارة السياحة والآثار في الحكومة المقالة بغزة أعلنت أنها تعمل جاهدة للوصول إلى قانون يقضي بالحفاظ على تلك البيوت والعمل على تحويل ملكيتها إلى الوزارة مقابل تعويض عادل لأولئك المواطنين، كما قدمت الوزارة مشروع قانون يقضي بحماية ومتابعة الآثار بالقطاع إلى المجلس التشريعي الذي لم يعتمده بعد.

ويضيف خلة: "..الكثيرون من القائمين على هذه البيوت يرفضون أن نتدخّل فيها بحجّة أنهم لا يريدون فتح الباب ولفت نظر الورثة لهذه البيوت، والشئ الآخر هو الإغلاقات، لكن نحن في الوزارة قمنا بتسجيل جميع البيوت الأثرية ونقوم بالاتصال بجميع الجهات والبلدية ومركز "إيوان" بالجامعة الإسلامية ومؤسساتٍ خيريةٍ داعمة، ونقوم (بالتعاون مع اليونسكو بشكلٍ غير مباشرٍ عن طريق مؤسسات أهلية) بالعمل على الحفاظ على هذه البيوت وترميمها..".

وفي هذا يقول "جمال سكيك" (عضو لجنة الحكم المحلي والأمن والداخلية بالمجلس ونائب مدير الدائرة الفنية سابقاً في بلدية غزة): "الملكيات التي آلت منذ مئات السنوات إلى بعض الناس أصبحت موزّعةً على كثيرٍ منهم بحيث أنه ليس هناك شخص محدد منهم مالكٌ كاملٌ لهذا العقار، وبناءً عليه فانّ البلدية لا تتدخل؛ لأنّ هذا يخصّ الآخرين؛ لكنها تتدخل إذا ما كان هذا المبنى معرّضاً للانهيار، فإما أن تحاول إسناده بطريقةٍ أو بأخرى للحفاظ عليه أو بهدمه حتى لا يقع على السكان".

اهتمامات

مركز "إيوان" هو أحد المؤسسات التي تهتم بالتراث المعماري؛ والذي يتبع لكلية الهندسة بالجامعة الإسلامية في غزة، أنشئ في العام 2000م كوحدةٍ متخصصةٍ للعناية بالمباني التاريخية في مدينة غزة؛ وكان له عدة مشاريع.

بدايةً رمّم المركز "حمّام السمرة" وبعدها كان له عدّة مشاريع أخرى كالعناية بالمباني التاريخية في البلدة القديمة، وعن أهمية التراث والآثار بالنسبة للعالم يقول الدكتور "عبد الرحمن محمد" (مدير مركز إيوان لعمارة التراث وعضو هيئة التدريس في قسم الهندسة المعمارية بكلية الهندسة في الجامعة الإسلامية): "هناك اهتمامٌ عالميٌ بهذا الأمر من قِبل المؤسسات الدولية المختلفة مثل "اليونسكو" و"المركز العالمي للتراث" التابع لها و"الصليب الأحمر" والكثير من المؤسسات التي لنا معها اتصالات، وكان آخرها المؤتمر الدولي للعناية بالتراث المعماري بدعمٍ من "اليونسكو" و"اتحاد المقاولين الفلسطينيين" للاحتفال بيوم التراث العالمي، والذي يُعقد كلّ عامين، وهناك احتفالٌ كلّ سنة بهذا اليوم الهام، وهو يوم التراث العالمي".

غزة القديمة أكبر من القدس

يؤكد الدكتور "عبد الرحمن محمد" على أنّ "غزة كانت تمتلك آثاراً وتراثاً من أجمل ما يكون في المنطقة العربية، لكن عوامل كثيرة لعبت دوراً كبيراً في اختفائها واندثارها..".

ويقول: "..مدينة غزة القديمة ربما لا يعرف الكثيرون أنها كانت مدينةً ذات طابعٍ معماريٍّ راقٍ جداً، وكان حجمها ومساحتها داخل أسوارها قديماً أكبر من مدينة القدس القديمة الحالية وكان فيها من العمران ما يشهد على عظمته البقايا القليلة الباقية في البلدة القديمة، إلا أنّ الظروف الصعبة التي مرّت بها المدينة - وبالذات أنها كانت بوابة الاحتلال البريطاني لفلسطين في الحرب العالمية الأولى - أثّرت عليها..".

ويتابع: "..قامت غزة بصدّ حملتين عسكريتين رئيسيتين للجنود البريطانيين القادمين من مصر بكلّ بسالةٍ وشجاعة، لكن؛ للأسف؛ شاءت أقدار الله تعالى إلا أن تكون حملة ثالثة ضد المدينة؛ والتي هُدم فيها المسجدُ العمريُّ ومئذنته، حيث كانت الحملة الأولى في شهر إبريل من سنة 1917م، والثانية في سبتمبر، والثالثة في نهاية العام، ومن ثمّ؛ في العام 1918 بدأ التوغّل في احتلال فلسطين".

ويضيف الدكتور "عبد الرحمن" أنّه "..طوال فترة الانتداب والحكم المصري والحروب الكثيرة والإغلاق والحصار الذي يعاني منه قطاع غزة؛ كان لكلّ هذه أثراً كبيراً في تدهور المدينة بشكلٍ عام؛ مع نموّ السكان والأوضاع الاقتصادية الصعبة جداً.." موضحاً: "..لجأ الناس - بسبب قلة الوعي بأهمية هذا العمران - إلى هدم هذه البيوت الأثرية وبناء بيوت من الخرسانة المسلّحة بدلاً منها، مما يمنحهم إمكانية البناء في طوابق متعددة، وبالتالي: توفير عدد من الشقق أكبر للعائلة لاستيعاب الزيادة السكانية..".

ويتابع: ".. بالطبع لم تكن حكومةٌ وجهاتٌ وطنيةٌ تهتم بهذا الأمر لأنّ البلد في وضع احتلال، وفترة الاحتلال الإسرائيلي كانت فترةً مؤثرةً جداً، حيث لم يكن هناك من أحد يهتم بهذا الأمر؛ لأنه أمرٌ وطنيٌ يحتاج إلى مؤسساتٍ وطنيةٍ تنبّه لأهميته وتحافظ عليه وتقدّم الدعم المالي، وهذا ما يجري في دول العالم الأخرى، لكن نحن - رغم كل هذه الصعوبات - نحاول بقدر الإمكان أن نحافظ على ما تبقّى.".

لا قوانين رادعة

القوانين السارية المفعول في قطاع غزة كما يؤكد الدكتور "عبد الرحمن" "لا زالت قوانين تخطيط المدن التي وُضعت أيام الانتداب البريطاني، وبالذات قانون رقم 28 لسنة 1936م، والذي لازال ساري المفعول حتى الآن، ولا يوجد هناك قانون تنظيم وتخطيط مدن فلسطيني.." ويواصل: ".. رغم أن هناك ورود في هذا القانون للعناية بالموروث التاريخي والمباني التاريخية في البلدة القديمة؛ إلا أنّ تطبيق هذا القانون وغيره لم يتم بصورةٍ مجدية، وبالذات؛ في ظلّ الظروف الصعبة، وبالتالي: الموضوع يحتاج من جهةٍ إلى قوانين؛ ومن جهةٍ أخرى؛ إلى توعية..".

مستدركاً: ".. لكن في ظل الظروف الحالية؛ لا يوجد - للأسف - أيّة ضوابط على الإطلاق، والمتبقّي من البيوت هو قليلٌ جداً ولا يكاد يصل إلى 300 بيت، وهو كل ما تبقّى في البلدة القديمة من مبانٍ كانت تُقدّر بالآلاف ما بين بيوتٍ وأسواقٍ وحمّاماتٍ ومساجد وزوايا وكلّ ما حولها المعمارية".

وهذه البيوت عددها محدودٌ جداً؛ وتسكنها عائلاتٌ في أغلبها ليست هي المالكة، وإنما هي مستأجرةٌ في ظلّ ظروفٍ اقتصاديةٍ صعبةٍ جداً، لكن؛ نسمع من بعض المُلاك أنهم بصدد هدم بيوتهم وبناء بيوتٍ غيرها. ووفق الدكتور "عبد الرحمن" فإنّ "من حقّ البلدية أن تتدخّل بموجب قانون تنظيم الأبنية والمدن والقرى.".

مشيراً إلى أنّ ".. من حقّ جهاتٍ أخرى أن تتدخّل، لكن أعتقد أنّ الظروف الاقتصادية الصعبة هي التي تقف عقبةً في هذا المجال وتؤثّر فيه.".

وواصل: ".. من الجدير بالذكر أنّ المواقع الأثرية الفلسطينية تعرّضت - على مدار ما يقارب القرن - للهدم والإهمال والسرقة، إلا أنّ الآثار القائمة (كقصر الباشا وخان الأمير يونس وجامع كاتب ولاية، والجامع العمري وغيره) عليها حراسةٌ كافية؛ خاصةً وأنها أبنيةٌ خلو من الأثاث، ويصعب سرقة حجارتها." مستدركاً بالقول: ".. لكنّ التلال الأثرية والتي يُنقّبَ عن الآثار فيها سابقاً فمن غير المتوقع وجود آثار ظاهرةٍ فيها، وهذه التلال تكون الحراسة عليها ضعيفةً نوعاً ما، لا طمئناننا إلى خلوّ القطاع من أدوات التنقيب الحديثة التي يمكن أن يستعملها سارقوا الآثار.".

ورغم ذلك؛ يبقى الإهمال العام من قبل المواطنين مسيطراً، ولا أدلّ على ذلك من "قلعة برقوق" في مدينة خانيونس جنوب القطاع.

تعديات سكانية..

فقد تعرّضت القلعة (الواقعة في مدينة خانيونس جنوب قطاع غزة، والتي كانت تعتبر من أجمل التحف المعمارية الموجودة في قطاع غزة) تعرضت لكارثةٍ أدّت إلى اندثارها بشكلٍ شبه كامل، حيث استوطن فيها السكان من بعض عائلات خانيونس بشكلٍ غير قانونيّ، كما يؤكد في هذا المجال المهندس المستشار "محمد الفرا" (رئيس جمعية القلعة لرعاية التراث) حيث يقول: "هناك مجموعةٌ من العائلات التي استوطنت في قلب مساحة القلعة دون وجه حقٍ أو ملكية، وهنا أتحدّث عن وقفٍ إسلاميٍ لا يجوز امتلاكه أو التعدّي عليه، ويجب عدم تركه هكذا دون الاهتمام به..".

ويتحدّث م. "الفرّا" في هذا السياق عن "وجود قراراتٍ مُلزمةٍ من أيام الانتداب البريطاني مروراً بأيام الحكم المصري وصولاً إلى مجيء السلطة الفلسطينية إلى قطاع غزة تُلزم من تعدّى على القلعة واتخذها مسكناً له بالخروج منها وإزالة التعديات عنها..".

وفي هذا الصدد؛ كشف م. "الفرا" النقاب عن "مشروع ينتظر إفراغ القلعة" من استولى عليها من السكان وإزالة التعديات عنها لإعادة إعمارها" حيث يقول: ".. مبنى "قلعة برقوق" آيةٌ من آيات

المعمار الإسلامي وهي تُدرّسُ في كليات العمارة بمصر كمبنىً متكاملٍ يحتوي على فندقٍ ومسجدٍ وأسواقٍ وإسطبلٍ لدوابّ القوافل. والمشروع يتمثّل في إعادة بناء "القلعة" حسب مخططها الذي أعددنا تصميمه حسبما كانت عليه في السابق، و سيكون مشروعاً دولياً كبيراً ومؤثّراً في اقتصاد المدينة أيضاً.".

وفي هذا السياق تؤكد وزارة السياحة والآثار "وجود العديد من التعدّيات على الآثار والتراث المعماري في قطاع غزة" حيث يُشير الدكتور "محمد خلّة" إلى أنّ "الوزارة لم تستطع القيام بإجراءاتٍ رادعةٍ بهذا الخصوص؛ على الرغم من بعض المحاولات.." ويضيف: ". بالنسبة للتعدّيات؛ فهناك تعدّياتٌ كبيرةٌ جداً على الكثير من المواقع الأثرية من قِبل السكان منذ فترةٍ بعيدةٍ جداً، ونحن في الوزارة نعمل جاهدين على وقف هذه التعدّيات بكلّ أشكالها، بما يتيحه لنا القانون في ذلك..".

ويضيف: ".المشكلة أنّ السكان داخل القلعة لهم ملكيةٌ شخصيةٌ للبيوت في "قلعة برقوق" بمدينة خليونس من خلال امتلاكهم لأوراق ثبوتية تثبت ملكيتهم، لكن ما استطعنا عمله هو التصريح للسكان ببناء ثلاث طبقات فقط بالحدّ الأقصى لأيّ منزلٍ داخل القلعة، حتى لا يُغطي على واجهة القلعة المتبقية..".

التجاوزات السجّلة بحقّ آثار وتاريخ قطاع غزة تستمر، فيوضح الدكتور "خلة": "..هناك بيوتٌ وجدنا أنها بُنيت بترخيص، في حين أنّ وزارة السياحة والآثار قبل الانقسام كل بمقدورها أن تمنع ذلك، لكن وللأسف؛ فبطريقةٍ أو بأخرى كانت الأمور تسير، وللأسف ازدادت التعدّيات بهذا الشكل، وكذلك ازدادت التعدّيات خلال فترة الفوضى الأمنية التي كانت موجودةً وغياب القانون، أما الآن: فإننا في وزارة الآثار نمنع أية تعدّياتٍ جديدة، ونحاول -قدر المستطاع- تعويض من يخرج من "القلعة" وباقي المواقع الأثرية المتعدّى عليها، ويكون التعويض بأيّ شكلٍ سواء بالأراضي أو بالمال، وبالمعظم؛ يكون بالأرض، وذلك بالتعاون مع سلطة الأراضي..".

في ظلّ الفوضى وعدم الاهتمام.. يتواصل التعدّي على تراث وتاريخ قطاع غزة دون اكتراثٍ؛ رغم المحاولات الخجولة التي تقوم بها بعض الجهات الرسمية والأهلية أيضاً. ويبقى هذا التاريخ مغتصباً من قِبل أناسٍ لم يعرفوا قيمته، ومكباً للنفايات ومستقراً للدوابّ؛ بعد أن كان يزخر بدفء الحضارة ومستقر صانعيها..!

غسان الشامي

في ذكرى دير ياسين..
تحية إلى الشهيدة "حياة"

تَمرّ علينا في هذه الأيام ذكرى أليمةٌ على قلوبنا، وهي الذكرى الثالثة والستين لمجزرة دير ياسين؛ التي استشهد فيها حوالي 300 شخص؛ معظمهم من النساء والأطفال، وقد قامت القوات الصهيونية بإلقائهم في بئر القرية بعد قتلهم؛ في محاولةٍ لإخفاء جريمتهم، كما قام الجنود الصهاينة بوضع النساء والصبايا في شاحناتٍ واستعرضوهم في شوارع القدس؛ لبثّ الرعب والخوف في نفوس الفلسطينيين ودفعهم للهرب والنجاة بأرواحهم. ففي التاسع من إبريل عام 1948 قامت المنظمات الصهيونية المسلّحة بارتكاب مجزرةٍ دمويةٍ كبيرةٍ بحقّ أبناء شعبنا الفلسطيني الأعزل في قرية دير ياسين غربي القدس، مستخدمين أعتى الأسلحة لقتلهم، فيما بقيت هذه القرية الصغيرة صامدةً لأيام عديدة؛ وهي تواجه القتل والدمار على يدّ العصابات الصهيونية المدعومة من سلطات الانتداب البريطاني، وقد شارك في صدّ العدوان الصهيوني عن دير ياسين الرجال والشيوخ والنساء والصبية..

وكانت مجزرة قرية دير ياسين ضمن سلسلة من المجازر التي ارتكبتها المنظمات الصهيونية بحقّ القرى الفلسطينية من أجل قتل أهلها واغتصاب أرض فلسطين وإجبار الشعب الفلسطيني على الرحيل عن أرضه وتشريده في شتى أصقاع العالم، وقد كانت هناك مقاومة عنيفة وشرسة من قبل الفلسطينيين وصموداً رائعاً في وجه الصهاينة، وكان للنساء الفلسطينيات في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي دوراً فدائياً وعسكرياً كبيراً في الوقوف بوجه الاحتلال البريطاني والصهيوني لأرض فلسطين؛ ومشاركة الرجال في الدفاع عن أرض فلسطين.

وقد سجّل تاريخنا بحروفٍ وكلماتٍ من نورٍ أسماء الشهيدات الفلسطينيات الأوائل؛ منهن الشهيدة "فاطمة غزال"؛ التي نزلت إلى ميدان القتال وواجهت الجنود البريطانيين واستشهدت في 26 من يونيو من العام 1936، عندما نشبت معركة في وادي عزين بين الجنود البريطانيين والثوار الفلسطينيين، ولا يقتصر الأمر على الشهيدة "فاطمة غزال" فهناك الكثيرات من نساء فلسطين ممن لهنّ بصمات أسطورية في الكفاح الفلسطيني المسلّح منذ فجر التاريخ، منهن الشهيدة البطلة "حياة البلبيسي" التي ضربت لنا (في مجزرة دير ياسين) أروع الأمثلة في التضحية والصمود والعطاء وحبّ الوطن.

فقد كانت الشهيدة "حياة" تعمل مُعلمةً في مَدرسة قرية دير ياسين، وكانت تَقضي إجازتها في القُدس وقت المجزرة، وعندها قررت على الفور قطع إجازتها وترك بيت ذويها في القدس، وهُرعت إلى قرية دير ياسين لتقدّم العون لأهالي القرية، ولتشارك في إسعاف المقاتلين، وتساعد في حماية أبناء مدرسة دير ياسين من القصف المدفعي الوحشي الصهيوني.

فقد أعطت الشهيدة "حياة" (19 عاما) للوطن الكثير وقدّمت روحها رخيصةً في سبيل الله؛ بعد قيامها بإنقاذ أحد جرحى المجزرة؛ الذي كان يستغيث ويطلب المساعدة.

وقد أثّرت الذهاب لمساعدته وإنقاذ حياته وهي تدرك خطورة الأوضاع على أرض المجزرة، وكانت تتنقل بين العشرات من جثث القتلى، ولبّت نداء الاستغاثة، وعملت على تضميد جراح المصاب النازفة، وعندها باغتتها رصاصات الغدر والخيانة، رصاصات الجنود الصهاينة، واستشهدت على الفور في العاشر من نيسان من العام 1948.

فتحيةٌ وألف تحيةٍ للمرأة الفلسطينية المجاهدة، ولهذا الدور النضالي العريق في الدفاع عن أرضها وعن أبنائها، وفي مشاركة الرجال في حمل السلاح والدفاع عن الوطن والعرض.

فداء أبو العطا

فاطمة.. حكاية حرب.. وقصة نجاة

خرجت "فاطمة" من بيتها ليلاً تلاحق خطوات المواطنين الفلسطينيين الفارين من ضربات مدفعية الاحتلال الثقيلة، و طلقات الرصاص العشوائية التي صُبّت فوق رؤوس سكان تلّة المنطار بحيّ الشجاعية عام 1967 في أحداث نكسة حزيران وحرب الأيام الستّة، أو كما تُسمى بالعبرية "ملحمة شيشات هايميم" وهي الحرب التي نشبت بين إسرائيل و كلٍ من مصر و سوريا والأردن بين 5 و 10 من يونيو 1967، وأفضت إلى احتلال إسرائيل كلاً من سيناء و قطاع غزة والضفة الغربية والجولان، وتُعتبر ثالث حرب على مدار سنيّ الصراع العربي الإسرائيلي.

أكدته قصة "فاطمة" وأكده صبر وصمود النساء الفلسطينية أحد معالم الصمود الفلسطيني خلال الحرب.

وتابعت: "الله لا ينسى أحداً، فأحد الشباب -و لم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره- أخرجني من الملجأ وحملني على ظهره حتى وصلنا لإحدى قريبات والدتي، حيث كانت والدتي الضريرة في استقبالي".

حملتها والدتها على كتفيها للمستشفى، وكانت كلما رأت دورية للجيش الإسرائيلي تهرب وتختبئ؛ حتى وصلت -في النهاية- إلى مركز غزة التابع للشرطة، ووضعتها إلى جانب الحائط وجلست بجانبها تبكي حتى تمكنت من الوصول إلى المستشفى الإنجليزي الذي يُسمى حالياً بـ"المستشفى الأهلي العربي".

الديدان خرجت من جسد "فاطمة" لكثرة الإصابات التي سببتها الشظايا، ومن طول المدة التي قضتها داخل الملجأ بين أجساد الموتى، حتى شفيت من جروحها بإعاقة في جسدها، إذ بُترت نصف قدمها، أي أصبحت "عرجاء" كما أطلق عليها ورُقعت رقبتها بسبب الشظايا التي التفّت حول عنقها، وما زالت تعاني حتى يومنا هذا كلما تذكرت الحادثة الأليمة ●●

"فاطمة بهار" لم تكن قد تجاوزت السابعة عشرة من عمرها عندما احتلّ الاحتلال الإسرائيلي قطاع غزة و"تلّة المنطار" فخرجت حينها؛ وهي تخشى الموت برصاصةٍ طائشةٍ تصيبها أو قذيفةٍ تمزّق جسدها.

"فاطمة" روت لـ"الغيداء" بالتفصيل حكاية الهجوم الإسرائيلي على حيّهم، قائلةً: "في تمام الساعة التاسعة من صباح الخامس من حزيران لعام 67 دكّت طائرات الاحتلال مطارات مصر وغطّت بدخانها أجواء قطاع غزة، بعد ذلك اتجهت إلى ضرب المواقع الفلسطينية والجولان وجنوب لبنان والأردن، وبعدها اتجهت بضرباتها العشوائية بالمدافع على مواقع الجيش في غزة وسيناء.. لم يكتفِ الجيش الإسرائيلي بالقصف والضرب بالمدافع؛ وإنما اقتحمَ عصر ذلك اليوم البيوت والحارات، وأخذ المواطنون يُهرعون ويختبئون للنجاة بأرواحهم." وفق "فاطمة" التي أكّدت أنها لجأت إلى "ملجأ" أعده أهل القرية لهكذا موقف".

ووصفت "فاطمة" لحظة الحصار المرعبة في ذلك اليوم قائلةً: "كان الجميع داخل الملجأ المليء بالأطفال والشيوخ والنساء، وكان الخوف بادياً على وجوههم، وفجأة دخلُ علينا فدائي مسلّح يبحث عن أهله.. كان الفدائي يرتدي البدلة العسكرية، وقد اعتلى التلّة يبحث عن عائلته، ولحظة شاهد مجموعة من جنود الاحتلال على الجهة الثانية للتلة وكأنه شاهد وحشاً أراد أن ينقض عليه، عندها بدأ بإطلاق الرصاص من بندقيته عليهم، وبسرعة ردّ عليه العدو بإطلاق زخّات من الرصاص لقتله أو الإمساك به، لكنه نجا بأعجوبة".

"المصيبة الكبرى" -وفق فاطمة- لم تبدأ بعد.. إذ أن الجنود الذين لحقوا بالفدائي وقفوا فوق التلّة التي اختبأ فيها المواطنون، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى سمع الجنود أصواتهم، وتفاجأت بوصول الجيش إلى باب الملجأ، وبدأ الجنود بالصراخ: "يموت العرب يموت" وتابعت: "..بدأوا بإطلاق القنابل الحارقة والرصاص الفتّاك من رشاشاتهم الثقيلة، وكانت المذبحة لا توصف، حيث الصراخ والأنين من الأطفال والشيوخ والنساء الذين احترقوا داخل الملجأ، وأصبح المكان وكأنه بجرٍّ من الدماء والأشلاء التي تتطاير هنا وهناك، ومن شدّة الألم في جسدي المُصاب فقدت الوعي تماماً".

مرّت أيامٌ طويلةٌ و"فاطمة" غائبةٌ عن وعيها؛ لكن القدر كتب لها الحياة مرةً أخرى، بدأت تستكشف المكان المعتم الممتلئ بالموتى والرائحة الكريهة والديدان من حولها، وصفت المشهد قائلةً: "..بدأت أصرخ لعل أحداً يسمعني؛ لكن لا حياة لمن تنادي، خاصةً وأنّ الجنود كانوا يحاصرون المكان ولا أحد يستطيع الخروج أو حتى معرفة مصير أهله وأقاربه وجيرانه".

ثلاثة أيام متواصلة عاشتها "فاطمة" تصارع الجوع والألم، وفجأة؛ وبلا تفكير "..التقطت القدم المبتورة لأحد الشهداء كي ألتهمها وتراجعت بعدما عدت إلى وعيي" فصبرها لم ينفذ بعد. بعدَ أيامٍ كانت ثقيلة على "فاطمة" ثقل الجبال؛ هدأت الحرب وأخذ المواطنون يبحثون عن أبنائهم وأهلهم؛ لكن لم يكن أحد يعرف مكان الملجأ ومن بداخله، المرأة الفلسطينية لا تستسلم رغم ظروفها الصعبة والحياتية المعقدة، ذلكَ ما

مدينة يافا

إعداد/ رهم البحيصي
سمر الدرملي

تعتبر البيوت والشوارع القديمة في مدينة يافا الفلسطينية(المحتلة) - منذ عام 1948- أهم ما يميز المدينة ويبرز جمالها وطابعها العربي، كما تشتهر المدينة بأحيائها العربية ومنها: البلدة القديمة، المنشية، ارشيد، العجمي الجبلية هرميش "اهرميتي"، والنزهة.

وأحد معالم المدينة الهامة هي (ساحة الساعة)، وهي ساحة عامة في قلب المدينة يوجد بها الجامع الكبير وسراي الحكومة والبنوك، ويقوم وسطها البرج الذي يحمل ساعة في أعلاه. وقد شهدت هذه الساحة الكثير من المعارك مع اليهود والكثير من المظاهرات والتجمعات الشعبية ضد الاستعمار والاحتلال سقط على إثرها الكثير من الشهداء، ولذا تُعرفُ بساحة الشهداء خاصة في معركة الاستيلاء على يافا ومن ثم النكبة عام 1948.

وتقع مدينة يافا على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، وهي إحدى نوافذ فلسطين على البحر، وعبرها يتمّ اتّصال فلسطين بدول حوض البحر المتوسط والعالم بأسره.

مدينة دير البلح

أشجار النخيل أهم ما يميز مدنية دير البلح التي تقع وسط قطاع غزة في جنوب فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ويعود أصل تسمية المدينة بهذا الاسم لإقامة أول دير في فلسطين على أراضيها حيث أقامه القديس (هيلاريوس) "278- 372م" شرق المدينة، وسميت أيضاً بالبلح لكثرة أشجار النخيل التي تحيط بها وكانت في القديم تعرف باسم (دا روم) وهي كلمة سامية بمعنى الجنوب، ويبلغ عدد سكان المدينة 62,000 نسمة.

مقام الخضر

يقع هذا المقام في وسط مدينة دير البلح وسط القطاع وأسفل هذا المقام يوجد دير القديس هيلاريون أو "هيلاريوس" الذي يعود إلى القرن الثالث الميلادي وهو أقدم دير لا يزال قائماً في فلسطين، وتعرض هذا المقام عدة مرات للانهيار الجزئي نتيجة سوء الأحوال الجوية.

شوكولاتة مسروقة !

محمد أسعد السوافيري

أبدأ يومي بفنجان قهوة. وأنهيه بفنجان قهوة.. "أميرة".. التي "تقلب البيت رأساً على عقب" ما بين فنجانِ قهوةٍ في الصباح وفنجانِ قهوةٍ في المساء؛ تُدير أهمّ خليةٍ أساسيةٍ في المجتمع.. وتدبّر شؤون مؤسسةٍ مهامها جسيمةٌ وتمويلها لا ينقطع.. فهي تعمل "ربّة بيت"..!

"الغيداء".. هذه المرة -وعبر حوارها- اختارت أن تتجاذب أطراف الحديث مع ربّة بيتٍ عاديةٍ وغير عادية. فكم من النساء المبدعات والموهوبات في فنّ إدارة البيت والوقت وتربية الأجيال ودعم الرجال؛ موجودات داخل عشّ الزوجية قانعاتٍ راضياتٍ مؤثراتٍ إيجابياً في أسرهنّ وفي مجتمعهن.

اللون البنفسجيّ

تقول "أميرة": " منذ أن كنت أعيش في بيت أهلي وأنا أساعد أمي في أعمال البيت؛ بل وأقف "فوق رأسها" لأتعلم كيفية طهي الأكلات المحبّبة لي، وكيفية عمل الحلويات و"كبس" المخللات، وها أنا ذا أصنعها في عشّ الزوجية بكلّ مهارةٍ وإتقان..".

وتتابع: "..يعتقد البعض أنّ عمل المرأة كربّة بيت عملٌ سهل؛ لكنّ الحقيقة غير ذلك؛ فشغل البيت لا يتوقف، فهناك الطبيخ والجلي والغسيل، ولنشر وطوي الملابس وترتيبها في الخزانات، والاهتمام بالأولاد ونظافتهم وغذائهم ودراستهم وتربيتهم؛ وتعليمهم مهاراتٍ سلوكيةً وقياديةً تفيدهم في حياتهم في المستقبل، وهناك كيّ الملابس، والكنس والشطف ومسح الأثاث واستقبال الضيوف.. وغير ذلك من التفاصيل المرهقة والتي لا تنتهي؛ فأنا دائماً أقول: "العمر يخلّص والشغل ما يخلّص.. و سلّة الغسيل عجينة بضلها تخمر" (في إشارةٍ منها إلى أن الغسيل يتراكم باستمرار).

..." أحياناً "أسرق" نفسي من بين ضجيج الشغل في البيت وأخلو مع حبّة شوكولاتة "جلاكسي" لتجدّد الطاقة والنشاط في جسمي وتنعش مزاجي.. هكذا نرى في الإعلانات التجارية عن علاقة "الشوكولاته"

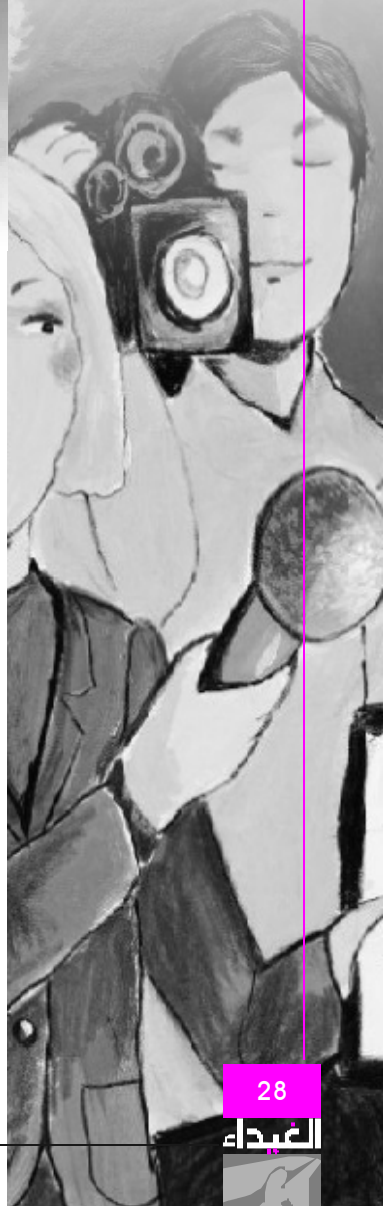

بالمرأة وهذا ما يحدث معي بالفعل..".

وتؤكد "أميرة" بأنّ: "..الكثير من الإعلانات التجارية تعكس صورةً وكلّ المرأة "بلهاء" غبية تلهث وراء كلّ ما هو تجاري وإعلاني.. لكنّ الحقيقة أنّ المرأة تعرف ما هو الإعلان الصادق وما هو الإعلان المخادع.. وبالعموم؛ كلنا نحن معشر النساء نحبّ الدعايات ونحبّ الماركات ونحبّ التجديد وملاحقة الموضة..".

"أميرة" تبلغ الآن من العمر (36) عاماً؛ حيث تزوّجت بعد أن أنهت دبلوم السكرتارية وعمرها (20) عاماً ولديها من الأولاد إثنين ومن البنات اثنتين، وتعيش حالياً في منزلٍ وسط مدينة غزة، وكما تقول: "أثثته حسب ذوقي وحسب ما يرضي مزاجي ونفسيتي، حيث يغلب اللون البنفسجي على البيت؛ لحبّي لهذا اللون وتأثيره الجميل في نفسيتي".

وماذا عن اللونين الأصفر والأخضر في الخارج يا أميرة؟

تقول: "..أنا كربّة بيت لست بعيدةً عن الحياة خارج البيت؛ بل أنا منخرطةٌ بشكلٍ إيجابي مع المجتمع بكلّ تفاصيله من حولي.. سواء مع الجيران والجارات ومع الأهل والأصحاب وصديقات الدراسة من أيام المدرسة، ومع أهل زوجي.. وحتى مع أصحاب المحلات المختلفة الذين يعاملونني كزبونة دائمة.. فأنا متصالحةٌ مع نفسي ومع الجميع.".

وتضيف: "..العيش في تفاصيل مقادير الطبيخ ومكوّنات الحلويات ومعايير صنع المخللات والطراشي لا يبعدني عن السياسة، بل أنا متابعةٌ جيدةٌ للشأن الفلسطيني الداخلي، وللوضع المأساوي في سوريا، والتدخّلات المتشابكة لكلٍ من إيران وتركيا وروسيا والصين في هذا الملف، كما أنني محللةٌ جيدةٌ للوضع الحالي في مصر؛ بعد فوز الدكتور محمد مرسي..".

..."أحيانا أشعر بأن الثورة في داخلي بدأت تنتفض على الوضع في غزة بل أحياناً أتكلم مع نفسي نهاراً وإياباً: شو بيستنّى الشعب..؟ شو بتعمل السلطة سواء في غزة أو الضفة للمواطن..؟ بس بتزيد همّه وغُلبه وبتزيد الضرائب، مع إنو المفروض الحكومة إللي لازم تدفع ضريبة للمواطن إللي راضي بهالمستوى المتدنّي جداً من الحياة المعيشية".

..."أحب السياسة وأعشقها؛ لكن أحياناً أشعر بالملل القاتل بسبب تشابه الأحداث وحياكة المؤامرات الخسيسة؛ مما يجعلني أحياناً أضع كلّ السياسة خلف ظهري وأنغمس في الحلويات..".

ضحكت "أميرة" ضحكةً ملؤها النشوة والسعادة بعد أن قالت جملتها الأخيرة، وقامت بعفويةٍ قائلة: ".. حكينا كتير عن حلوياتي.. لازم تذوقوها..".

وبعد أن تذوّقناها فهل يا ترى تجيد النساء العاملات فن الطبخ وفن إدارة الوقت لعمل وتزيين الحلويات بهذا الشكل، وتزيين المنزل وتزيين نفسها بل والأولاد كذلك؟

أحياناً أشعر أن اليوم بالكاد يكفي لإنهاء متطلبات الحياة اليومية والروتينية، وأحياناً أشعر بأن من تعمل يمكنها أن تنظم وقتها وتضع جدولها حسب دوامها؛ بحيث لا يؤثر العمل المهني على العمل البيتي.

.."التجارب التي أراها من حولي لنساءٍ عاملات؛ صراحةً بعضها ناجحة وبعضها فاشلة.. فزوجة أخي مثلاً تعمل وتساهم في دخل البيت؛ لكنّ المشاكل بينها وبين أخي لا تنقطع؛ بسبب سوء ترتيبها للبيت ورعايتها لأطفالها وطهيها القليل للطعام حيث تعتمد على الأكل الجاهز أكثر، وهو دائماً يسمعها أن "الأكل الجاهز خرب معدته" لكن؛ أنا أرى أن هناك "أنانية في أخي" إذ طالما هي تعمل وتساهم مثلها مثله في مصروف البيت فعليه أن يساعدها في عمل البيت؛ ليكون هناك وقتٌ لديها لنفسها وله ولأولادها ولبيتها ولعملها..".

.."طالما تعمل المرأة يجب أن تكون نصف ربّة بيت والنصف الآخر يجب أن يؤديه الرجل..".

المشاكل ملح الحب

وتؤكد "أميرة" أنها تعشق التسوّق، وهو ما لا يعجب زوجها؛ لدرجة أنه أوقعها في أكثر من مقلب خلال تسوّقهما معاً؛ حيث أنه ذات مرّة تركها تصول وتجول في السوبرماركت وتجمع الحاجيات في السلّة، وعندما جاءت لتحاسب أخذت تنادي عليه وتهاتفه على جواله الشخصي؛ لكنه لم يجب؛ إلى أن اكتشفت أنه ينتظرها في الخارج، مما اضطرها لإعادة كلّ ما في سلتها لمكانه على الأرفف.

وعن أكثر الأماكن التي تحبها في غزة تقول أميرة "..أحب سوق فراس، وسوق الزاوية؛ وأحب الأصالة؛ وعبق تاريخنا الفلسطيني في شوارع غزة القديمة..".

وعن علاقتها بزوجها تؤكد أن كل بيت لا يخلو من المشاكل؛ ويبقى السرّ في كيفية التعامل مع كل مشكلة ومواجهتها بالحلّ الأنسب، فلا يصلح "د يكان في الدار" ولا " رأسان في كلّ مشكلة" فأنا أحيانا أكون الرأس والقائدة والمقررة؛ وأحياناً أكون التابعة..".

وتواصل: "..المهم ألا تطول المشاكل، ولا تطال عمق العلاقة والحبّ الذي يملأ قلبي أنا وزوجي.. يجب أن يملأ البيت السلام والدفء والطمأنينة؛ ليس من أجلنا فقط؛ بل من أجل بيئة صحية وسليمة لأولادنا..".

.."..صحيح أن المشاكل ملحُ الحب -كما يقولون- لكن اذا كترت بيصير الحب طُرشي..".

.."أشعر بالسعادة الغامرة عند ما يُقدّر زوجي تعبي في البيت، ويُسمعني كلماتٍ لطيفةً تخفّف من شعوري بالتعب والإرهاق..".

وتتابع "العلاقة بين النساء والرجال على الأرض يجب أن تتسم بالتكاملية والتعاون والتشارك في كل أمور الحياة لا أن تتسم كما نلحظ الآن بالندية وطغيان الثقافة والعنجهية الذكورية والأنانية والنظر إلى المرأة وكأنها لا تسوى شيء وهي كل الأشياء".

.."هذا يحتاج منا نحن النساء أولاً الثقة بأنفسنا والانتماء الحقيقي لذواتنا.. وعلى المؤسسات النسوية التي نسمع عنها أن تضع أيادها على جروح النساء ومطالبهن الحقيقية بشكل مباشر وإقناع العالم الدولي برمته بأن نساء فلسطين مثلهن كباقي نساء العالم يعشقن الحياة وتفاصيلها ..ويعشقن أزواجهن ويعشقن كذلك فلذات أكبادهن".

إنشغلت بطهي "المقلوبة"

أكثر من ثلاث ساعات استمرّت درد شتنامع " أميرة".. ولولا انشغالها وتركيزها في تفاصيل طهي "المقلوبة" لواصلنا الحديث الممتع والشيّق.. فكم جميلٌ أن تتمتع المرأة بحلاوة الروح وخفّة الدم، وتستمرّ -مهما كبرت- تداعب قلبها وعيونها براءة الأطفال.. وكم تحتاج المرأة؛ التي قُدّر لها أن تعمل كربّة بيت واختارت العناية ببيتها وشؤون أسرتها والمساهمة في النشاط الاجتماعي بكلّ جوانبه المادية والروحية والعقائدية والاقتصادية، دون أن يخصص لها راتبٌ شهريٌ من زوجها أو من الدولة، فلها منّا كل تقدير وإجلال. ●●

في دراسة نوعية

المرأة لازالت بعيدة عن المساواة الكاملة

هداية شمعون

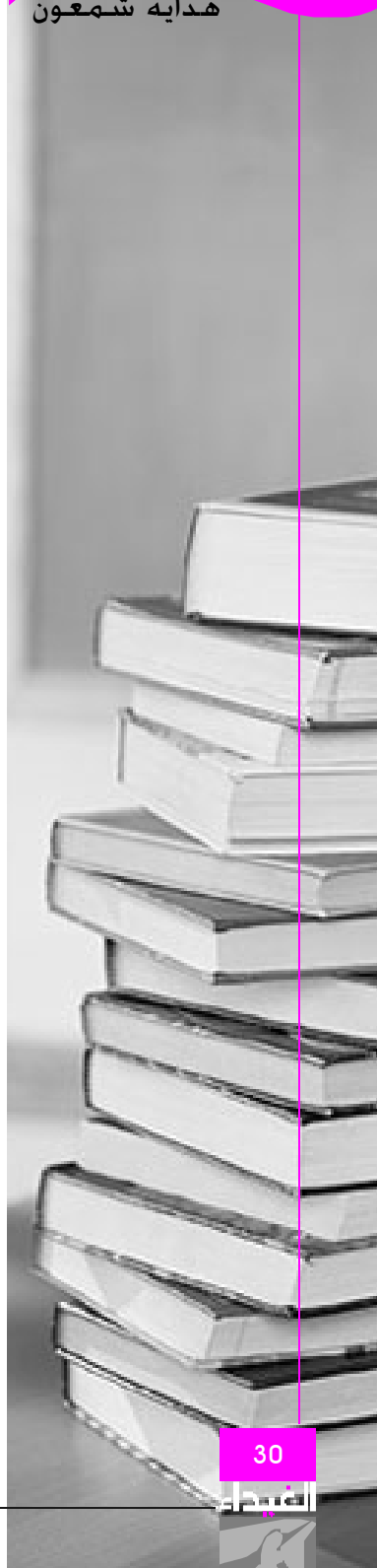

توجد حاجةٌ ماسةٌ لصياغة خطاب نسوي موحد تغييري على أسسٍ وطنيةٍ و مرجعيات دولية تراعي خصوصية الواقع الفلسطيني، وتضمّ كافة ألوان الطيف السياسي والفكري الفلسطيني، كما ويعكس موقفاً محدداً من مجمل القضايا الاجتماعية؛ قادراً على الوصول لكافة شرائح المجتمع، متحدياً السلطة الأبوية والمجتمع الذكوريّ، ومحافظاً على هويته أمام أيّة منعطفات محلية أو إقليمية أو دولية، و على المؤسسات النسوية -وتحديداً الأطر النسوية الجماهيرية والنساء الممثلات في المجالس التشريعية والمحلية- حماية مصالح الحركة النسوية التي يمثلنها من هيمنة المصلحة الحزبية، وأن يتصرّفن كممثلات لمصالح المرأة؛ التي تتعرض للتهميشٍ من الرجال إن لم تجدْ من يدافع عنها.

جاءت هذه التوصيات في رسالة علمية محكّمة لدرجة الماجستير ومعنونة بـ "المضمون الإجتماعي والسياسي للخطاب النسوي الفلسطيني 1994م-2010م - دراسة تحليلية لفكر الحركة النسوية في محافظات غزة" للباحثة "مريم محمود المزيّن" في "جامعة الأزهر" بغزة قسم دراسات الشرق الأوسط، لكلية الآداب والعلوم الإنسانية.

دورٌ سياسيٌ ضعيف

حيث ركّزت الدراسة على مدى تعقّد قضية المرأة الفلسطينية؛ لارتباطها بمجموعةٍ من القضايا التي تمسّ الحياة العامة في المجتمع، فلا تزال المرأة الفلسطينية بعيدةً عن المساواة الكاملة كمواطنة مع الرجل في الحقوق و الواجبات، كما لا يزال دورها ضعيفاً على صعيد المشاركة السياسية والمدنية؛ نظراً لطبيعة المجتمع الذكورية والسلطة الأبوية وسيادة عادات وتقاليد بالية من شأنها أن تقف عائقاً أمام تحقيق المساواة. ولم تتمكن السلطة والأطر النسوية من بلورة وتطوير مشروعاتٍ وسياساتٍ من شأنها تقوية وتمكين المرأة وزيادةً مشاركتها في دوائر صنع القرار؛ بسبب وجود الاحتلال. هذا بالإضافة للحصار والانقسام الفلسطيني، وتراجع الحريات والمكتسبات، عدا عن التغيرات الإقليمية والدولية وتداعياتها على الكلّ الفلسطيني.

ضمن هذا السياق؛ فإنّ الفلسطينيات -وعلى الرغم من حجم التضحيات و العطاء الذي قمن به ولا زلن- إلا أنهنّ لم يستطعن تحقيق إنجازاتٍ ملموسة على أرض الواقع. لذا؛ جاءت هذه الدراسة للوقوف على مدى انعكاس التطوّر الفكري للأطر والمؤسسات النسوية -والتي تمثل جزءً من الحركة النسوية- في رؤيتها وآلية عملها وعلاقتها بالقاعدة النسوية، وكيفية التعاطي مع التحدّيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي رافقت عملها، وأثّرت سلباً وإيجاباً على تصوّرات هذه الأطر، و بالتالي؛ الخطابات التي حملت أفكارها وأنشطتها عن قضية المرأة للمجتمع، ومن ثمّ؛ تحليل هذا الخطاب لتسليط الضوء على مضمونه الاجتماعي والسياسي وتداعيات الحركة النسوية الفلسطينية.

بالإضافة إلى ما سبق؛ فقد أوصت الدراسة بـ "ضرورة العمل على إعداد وثيقةٍ أو عقدٍ بين الحركة النسوية و الأحزاب السياسية يضمن للمرأة المشاركة السياسية (الانتخابات) بتمثيلٍ حزبيٍّ على قدم المساواة مع الرجل، وعلى السلطة الوطنية إلزامها والتزامها بذلك، وأهمية فتح حوارٍ موضوعيٍّ تمهيداً للدخول في علاقةٍ مع الحركة الإسلامية للوصول لقواسم مشتركة معها

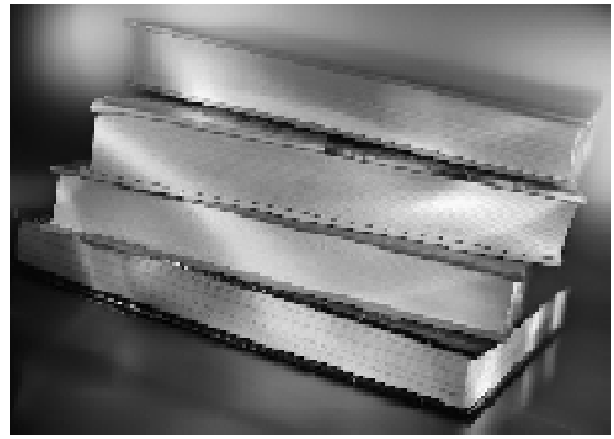

لضمان عدم تشتيت الجهود في صراعات فئوية ثانوية، والعمل معاً من أجل إدارة دقّة الصراع مع العدو الأصلي -الاحتلال- والنضال من أجل إتمام المصالحة، وبناء نظامٍ سياسيٍ ديموقراطيّ".

ومن أبرز النتائج للدراسة ما يلي:

فقدان الدور المؤثر للقيادات

* أكدت الدراسة أنّ الهياكل التنظيمية للمؤسسات النسوية لا تسمح بتنظيم القاعدة الجماهيرية في إطار حركةٍ نسويةٍ موحدة، كما أنّ مأسسة العمل النسويّ أدّت لتقلّص الجانب التطوعيّ والتحوّل -تدريجياً- من مدافعاتٍ عن قضايا المرأة إلى موظّفات؛ ما أدّى لفقدانها التأثير الفاعل في صناعة القرار.

* أدّى تعدّد مرجعيات المؤسسات النسوية -تبعاً لتنوّع الرؤى والأيديولوجيات- إلى تعدّد الخطاب؛ ما خلق خطاباتٍ وطنياً علمانياً متمثلاً بـ"الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية" يتقاطع مع الخطاب الليبرالي الديمقراطي وخطابٍ آخر إسلامي دون التوصّل معاً لقواسم مشتركة، ما أدّى لنفي الخطابات الأخرى، فأصبح كلٌّ تيارٍ يهاجم التيار الآخر. وهذا يُعتبر من أهم أسباب تشتّت وتفكّك الحركة وتبعثر جهودها.

* اتسم طابع التنسيق والتشبيك بين المؤسسات النسوية بـ"الهشاشة" حيث يجري تفعيله بين المؤسسات العلمانية والوطنية واستثناء الإسلامية، وتحديداً في مرحلة الانقسام وغياب مفهوم التنسيق التكاملي في الأنشطة والبرامج بينهم؛ نظراً لغياب وحدة الخطاب.

* تعاني المؤسسات النسوية من خللٍ في إدارة الأزمات المحلية، حيث تفقد إدارتها التخطيط الاستراتيجي والآليات التي تسهم في مواجهة أيّة أزمةٍ طارئة؛ ما يوقع المؤسسة في إرباكٍ واضطراب، ومن ثمّ: تحويل برامجها وخطابها، مثال ذلك: العدوان على غزة.

* لم يكن دور الأحزاب والقوى السياسية داعماً للمؤسسات النسوية؛ نظراً لعدم الاهتمام بتفعيل الحياة الديمقراطية داخلها؛ وتمكين النساء من الوصول لمواقع صنع القرار؛ وحصرها في أطرٍ نسوية؛ والتعامل مع النساء العضوات كجمهورٍ متلقٍ وليس فاعلٍ يتم تحشيدهم في المناسبات؛ حيث تحضر غالبيتهن طمعاً في الحصول على وظيفةٍ أو حصةٍ من المواد الغذائية.

* رغم أهمية وجود ممثلاتٍ في المجلس التشريعي والبلدي - كمكسب للحركة النسوية - إلا أنهن عجزن عن القيام بدورهن في رفد الحركة؛ لأنهنّ يمثلن المواقف الذكورية لأحزابهن وليس مواقف للمرأة.

خطابٌ نسوي

هذا؛ وأكدت الدراسة أنّ "الحركة النسوية وتقييمها لا يمكن أن يتمّ بمعزلٍ عن تقييم السياق الفلسطيني العام، فأيّ تقدمٍ أو تراجعٍ للحركة مرتبطٌ بتقدّم أو تراجع موقف السلطة الوطنية من المرأة بالإضافة لجملة التغيّرات الإقليمية والدولية التي أثّرت على الخطاب. فالحركة الوطنية تعيش في حالة تراجعٍ وتردٍ وترهلٍ بسبب ضعف الأحزاب والقوى السياسية وانسداد الأفق السياسي، كذلك دور العادات والتقاليد والبُنى الثقافية المتخلّفة؛ التي تنظر للمرأة باعتبارها مخلوقاً من الدرجة الثانية مكانه المنزل، وتراها تابعةً، ضعيفةً، وظيفتها التربية وإنتاج الأجيال.

إنّ هذه المفاهيم هي من عوامل القهر والاضطهاد الواقع على المرأة أيضاً، لذا؛ لا يمكن حلّ قضية المرأة دون تفكيك تلك البُنى الثقافية؛ والتي وجدت لها تربةً خصبةً في ظل الانقسام وانتشار الخطاب الأصولي ومجابهته للخطاب الديمقراطي؛ الذي حاول تكييف نفسه مع الظروف أملاً في الحفاظ على تواجده بدلاً من المواجهة، والمحافظة على مكتسبات وإنجازات الحركة؛ والتي حصلت عليها بعد نضالٍ طويلٍ؛ وفي ظلّ مناخٍ سياسيٍ ساهم فيه النظام السياسي الفلسطيني بعد أو سلو.

إنّ حالة الانقسام ضاعفت من معاناة المرأة؛ حيث انعدام حريّة التعبير والرأي، لذا؛ لا بدّ للحركة النسوية من السعي جاهدةً لصياغة خطابٍ نسويٍ موحدٍ قادرٍ على مواجهة السلطة الأبوية، وتحدّي المجتمع الذكوري؛ محافظاً على هويته أمام أية منعطفات.

وتُعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها حول "المضمون الاجتماعي والسياسي للخطاب النسوي الفلسطيني في محافظات غزة" والتي ساهمت في تحليل الخطاب النسوي، كمحاولة لتطوير صياغة الخطاب؛ ليصبح قادراً على التعاطي مع المتغيّرات والاحتياجات الحقيقية للمجتمع الفلسطيني بشكلٍ عام والنساء على وجه الخصوص. كذلك؛ ساهمت الدراسة في صياغة خطابٍ نسويٍ قادرٍ على مواجهة التحدّيات التي تواجه المرأة، والمساهمة في تطوير انعكاس الواقع الحقيقي للنساء على مضمون الخطاب النسوي.

هذا واعتمدت الدراسة في منهجيتها على عدّة أساليب منها:

- المنهج التاريخي: حيث تمّ تسليط الضوء على تطوّر الحركة النسوية الفلسطينية منذ نشأة منظمة التحرير عام 1965م حتى توقيع اتفاق أوسلو عام 1993م، بالإضافة للحديث عن نشأة وتطوّر الأطر والمنظّمات النسوية الفلسطينية، وعلاقتها بالنظام السياسي الفلسطيني.

- المنهج الوصفي التحليلي: لملاءمته لموضوع وأهداف الدراسة حيث تمّ الاعتماد على وثائق وأدبيات الأطر والمنظّمات النسوية والموقف من قضايا وممارسات قائمة وموجودة ومتاحة للدراسة والقياس. ●●

ميرفت أبو جامع

ناشطات الإعلام الاجتماعي

تغريدات متواصلة وصور وحكايات عن النكبة

"جدّي من قريةٍ مسحتها إسرائيل من على الخارطة، إسمها "المرصص" قضاء "بيسان".. جدّتي من "طبرية" حيث وُلد والدي، نزحت الأسرة من "صفد" حيث كان يعمل جدّي..".. "خرجت جدّتي من بيتنا وهي حامل في الشهر التاسع، مشت كثيراً حتى حدود لبنان، ظنّت أنها ستعود لكنها لم تعُدْ حتى آخر يوم في حياتها كانت تقول: سنعود..!. "تبدو هذه الجمل القصيرة (والتي لا تتجاوز الواحدة منها الـ140 حرفاً) قصصاً مترابطةً، إلا أنّ كلاً منها تدوينة منفصلة كتبتها الصحافية الفلسطينية اللاجئة "ديمة الخطيب" على "تويتر" في هاشتاج #النكبة.

"ديمة" (التي تعمل مديرة المكتب الإقليمي لقناة الجزيرة القطرية في فنزويلا، والناشطة عبر مواقع الإعلام الاجتماعي) تعبّر عن نفسها كلاجئةٍ فلسطينيةٍ بالقول: "كثيرون منكم يسألونني عن جنسيتي، رسمياً: ليس لديّ جنسية، لأنّ ?? آبار قبل ?? عاماً مثل اليوم، حرمني قبل ولادتي من أية جنسية فوُلدت لاجئةً وبقيت لاجئة".

استطاعت "ديمة" أن تؤثر عبر كلماتها القليلة في العديد من أصدقائها عبر العالم؛ خلال حديثها عن قصتها وعائلتها مع نكبة الـ 48، وهي أحد أشكال استخدام الفلسطينيين لهذه الأدوات من أجل الحديث عن قضاياهم و سرد معاناتهم.

تغريدات متواصلة

تواصل "ديمة" تغريداتها: ".في ?? أيار???? ولدت فتاةٌ فلسطينيةٌ في (بنت جبيل) على الحدود اللبنانية الفلسطينية من أمٍ نازحةٍ جاءت من شمال فلسطين، الأم كانت جدّتي والفتاة عمّتي.." "وغداً يوم نحتفل فيه بعيد ميلاد أمّي، ونستذكر فيه شجاعة أجدادنا وذكرى نكبتنا في فلسطين".

النكبة لا تزال مستمرة، فتقول عبر "تويتر": "..مرّت ?? سنة؛ لكنّ النكبة تعيش فينا، في ما ضينا وحاضرنا.. قصصها لا تزال جزءً من حياتنا، ونحن نتاجها، نحن ما زلنا منكوبين".

ورغم أن "نور" (23 عاما، من مدينة غزة) ليست لاجئة، إلا أنها تفاعلت كثيراً مع قضية النكبة ودوّنت الكثير عبر حسابها على "تويتر" و(الهاشتاج) الخاص بالنكبة (الهاشتاج: هي خدمة يوفرها موقع تويتر لتسهيل الوصول إلى التغريدات حول موضوع معين) وتقول: ".. غرّدت في ذكرى النكبة تحت عدّة هاشتاجات مثل: (#النكبة، #ذكرى_النكبة، #فلسطين) باللغتين العربية والإنجليزية، فضلاً عن تدويناتي في مدوّنتي الخاصة" وقالت في إحدى تغريداتها: ".يا رب؛ لماذا لم تخلقني لاجئة؟".

"نور" لم تكن قبل عام تتفاعل مع ما يدور حولها، ولم تعبّر عن قضاياها أو تتضامن مع أحد لكنها اليوم أصبحت أكثر قدرةً على التعبير عن رأيها بحرية بل وتتضامن مع القضايا المختلفة فلسطينياً وعربياً ودولياً، وذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

140 حرفاً فقط تدوّن بها "نور" عشرات القصص الصغيرة عن النكبة ومفتاح العودة، عن شوقها لرؤية البلاد المهجّرة وزيارتها، تتبادل الصور والأخبار العاجلة والمقالات، وتحثّ أصدقاءها من كافة الدول ومن فلسطين على الكتابة في هذه المناسبة.

تدوينات وصور

نكبة الفلسطينيين التي تمر ذكراها كل عام في منتصف شهر مايو/آيار، تفرض نفسها على صفحات مواقع الإعلام الاجتماعي، فتتفاعل

صفحات باسمها على الفيسبوك، وكذلك "هاشتاجات" على موقع "تويتر" وكذلك عبر المدوّنات تحت مسميات كثيرة منها: (نكبة 48 وحق العودة) وتدوّن فيه فلسطينيات من مختلف دول العالم / يبثثن أحلامهن ويدوّنّ عن الفظائع التي ارتكبت بحقّ آبائهن وأجدادهن، وإرفاقها بالصور الحية الحديثة التي تختزنها الذاكرة. وتفضّل "نور" (التي تعمل مدرسةً في أحد مدارس قطاع غزة) موقع تويتر، وهو محدود الاستخدام في فلسطين، إذ أنّ عدد مستخدميه لا يتجاوز 4660 مستخدم مقارنة مع "الفيسبوك" الذي وصل عدد مستخدميه إلى أكثر من 900 ألف مستخدم، وهو موقعٌ خبويٌ على عكس "الفيسبوك".

وتقول: "موقع "تويتر" هو مجال اهتمامي الأكبر، تقوم فكرته على "الاختزال" و"العالمية" فأعبر عن فكرتي ب140 حرفاً أو من خلال "الهاشتاج" "ممكن أن نصل للعالم...".

تتابع "نور": "..تويتر عامل زي ساحة نقاش كبيرة جداً، الكلّ بيحكي رأيه فيها، وممكن يتم نقاش مفتوح حول قضية ما، ويشارك فيه الجميع تحت هاشتاج واحد، تخيّلي ملايين البشر بحكوبنفس الموضوع وبناقشوه..".

في إحدى تغريداتها باللغة العربية تقول: ".. فلسطين: أنا الأرض والأرض أنتِ" وتربط النكبة بالواقع الحالي فتقول: "..أربع نكبات لا واحدة: النكبة وأوسلو والسلطان". وتفتخر "نور" أنها استطاعت وعدد من صديقاتها

وأصدقائها المغرّدين من كسب عددٍ كبيرٍ من المؤيدين لفلسطين في أحداثها المختلفة ومنا سباتها الوطنية؛ لا سيّما ذكرى النكبة، وقضية الأسرى؛ التي تزامنت وذكرى النكبة لهذا العام.

تفاعل مع القضية

"مرام حميد" التي تفضل "تويتر" للنقاش وطرح القضايا تقول: "الفلسطينيون ما يزالون مستجدّين على الاستخدام السليم والفعال لأدوات التواصل الاجتماعي وتوظيفها لخدمة قضاياهم، لكن هناك إقبالٌ على هذه المواقع الاجتماعية إلى حدّ ما؛ يُعتبر مقبولاً..".

تفاعلت "مرام" مع "هاشتاج" النكبة، وعن هذه المناسبة تضيف: "..حضور الذكرى كان قوياً على مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك وتويتر، من خلال تحديثات الحالات وصفحات المجموعات الإلكترونية، سواءً من خلال الكتابة عن المدن والقرى عام 48 أو تصاميم مفاتيح العودة وأشعار وأناشيد حقّ العودة، إلا أنها تستدرك بالقول: "..ما يزال الجهد غير متكافئ، وغير متواصل؛ نظراً لمزاحمة صعوبة الظروف المعيشية اليومية والاجتماعية للقضايا الفلسطينية الأكبر".

وتضيف: "..ذكرى النكبة هذا العام جاءت مختلفةً إلى حدٍ ما، حيث كانت تحمل نكهة الانتصار؛ بعد نيل الأسرى مطالبهم بعد أكثر من 20 يوماً من الإضراب، ولذلك؛ كانت تغريدات الأصدقاء والصديقات على "تويتر" على "هاشتاج النكبة" موجهةً إلى حدٍ كبيرٍ بانتصار الأسرى الذي سبق ذكرى النكبة بيوم.

فجوة افتراضية

رغم التواجد المحدود للمرأة الفلسطينية في هذا الواقع الافتراضي، إلا أنها لاتزال بحاجةٍ إلى دعمٍ وتدريبٍ على توظيف هذه الأدوات للتفاعل والمشاركة بشكلٍ أكبر، خاصةً أن الإحصاءات تشير إلى تفوّق الرجال في استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي على النساء، وذلك بحسب تقرير الإعلام الاجتماعي وتمكين المرأة العربية؛ الذي كشف عن وجود فجوةٍ افتراضيةٍ للنوع الاجتماعي في استخدامات الإعلام الاجتماعي. ويقول التقرير "على الرغم من أن الإعلام الاجتماعي شكّل أداةً قويةً خلال الحراك المدني خلال العام 2011؛ سواءً لحشد الجماهير أو نشر المعلومات، إلا أنّ معدّل استخدام المرأة العربية لوسائل الإعلام الاجتماعي في المنطقة كان منخفضاً مقارنةً بالرجال، وكذلك بالمتوسط العالمي، حيث تشكّل النساء نصف مستخدمي فيسبوك عالمياً، في حين تشكّل النساء العربيات نسبة الثلث فقط من مستخدمي فيسبوك في المنطقة.

للمرأة حضورها الخاص

"خالد الشرقاوي" (المدرب في مجال الإعلام الاجتماعي والتنمية في غزة) يقول: "تفاعل المرأة الفلسطينية لا يمكن فصله عن تفاعل الفلسطينيين ككل تجاه قضية النكبة، لكنّ المرأة لها حضورٌ مميزٌ من خلال كتاباتها ولغتها التي تنقل مشاعرها المفعمة بالعاطفة بطبيعتها..".إلا أنه يقول: "..حتى الآن؛ لم نرَ تجربةً فلسطينيةً ميزةً في حديث الفلسطينيين عن نكبتهم لا سيما النساء.." مُرجعاً ذلك إلى أنّ: "..أغلب الفلسطينيين يتحدثون باللغة العربية ويوجّهون كلماتهم للجمهور الداخلي، بينما هناك إهمالٌ كبيرٌ وواضحٌ للحديث باللغات الأخرى وللجمهور الخارجي؛ الذي يمتلك التأثير ويشكّل الرأي العام الدولي".

وينصح "الشرقاوي" بـ"..تطوير أداء النساء عبر شبكات التواصل الاجتماعي من خلال توفير البيئة المساعدة على ذلك وتدريبهن، وإقامة ورش عمل وندوات تساهم في تغيير الوعي المجتمعي تجاه دور النساء لتطوير إمكانياتهن".

أعداد "الفيسبوكيين"

ورغم أن أعداد الفلسطينيين منخفضةٌ على مواقع التواصل الاجتماعي؛ مقارنةً باستخداماتها في العالم العربي؛ إلا أنّ هناك جيلاً من الفلسطينيات - لا سيما من فئة الشباب - يستخدمن هذه المواقع بشكلٍ شبه يومي، ويعبّرن عن قضاياهن الوطنية، بل ويتضامنّ مع القضايا العربية والإنسانية.

وتشكّل النساء نسبة 38٪ من عدد مستخدمي الفيسبوك في فلسطين، معظمهن من شريحة الشباب، حيث بلغت فئة (18 - 24 عاماً) إجمالاً (ذكور وإناث) 45٪ من عدد المستخدمين وفئة (25 - 34 عاما) نسبة 23٪. وذلك حسب إحصائيات موقع الفيسبوك حتى مايو 2012، حيث وصل عدد مستخدمي الفيسبوك في فلسطين 905060 مستخدم، في حين بلغت نسبة النساء الفلسطينيات 39٪ من عدد المستخدمين في أكتوبر 2011، وفق تقرير "الإعلام الاجتماعي وتمكين المرأة العربية" الصادر عن برنامج الحوكمة والابتكار بالتعاون مع برنامج النوع الاجتماعي والسياسات العامة بكلية دبي للإدارة الحكومية. ●●

ذاكرة صغار فلسطين ترث من كبارها تفاصيل الهجرة ومعالمها

حنان أبو غنيم

يحيون ذكرى نكبتهم وتشريدهم من بلداتهم وقراهم، سنواتٌ طويلةٌ مضت على صورا لهجرة التي تعجّ بها ذاكرة المهجر الفلسطيني؛ الذي نقل آلاف الصور والحكايات لأبنائه وبناته عن خيرات البلاد ورائحة التراب. فمنذ العام 48 و ذكرى النكبة تتصاعد قوّتها من جيلٍ سابقٍ إلى جيلٍ لاحق، أثبت فيها الفلسطينيّ أن رئيسة وزراء إسرائيل "جولدا مائير" لم تصدُق حين قالت: "إن كبار فلسطين سوف يموتون وصغارها سوف ينسون".

"الغيداء" تجوّلت داخل أزقة المخيمات واستطلعت آراء الشباب والصغار وما يحملون في ذاكرتهم من حكايات الهجرة والبلاد المغتصبة.

جدتي ماتت..

"كان يا مكان، كان إلنا حاكورة وبيت كبير، كنت أنا وسيدك نزرعها في بربرة".. كان هذا مطلع القصة التي كانت ترويها جدة "محمد دهمان" (12 عاما) له ولأخواته الصغار قبل نحو ست سنوات، و عندما تُوفيت الجدّة أكملت الأم القصة لأبنائها الصغار.

يقول "محمد": "..كانت جدّتي تروي لنا حكايات كثيرة عن بلدتنا "بربرة" وكيف استولت عليها إسرائيل وطردتهم منها، جدّتي ماتت لكنّ أمي لازالت تحكي لنا يومياً عن قصص الهجرة والنكبة التي ورثتها من ذاكرة جدتي، وأنا سأرويها لأخواتي وأبنائي حتى لا ننسى أنّ لنا أرضاً وأنّ بلدتي "بربرة" سنرجعها في

[illegible] وبعض [illegible] والفلسطينيين [illegible]

لحديثنا المتبادل في مخيم جباليا للاجئين شمال قطاع غزة عن "بربرة" وحكايات الجدّات المشوّق عن أيام البلاد والثوّار، وألقاب كلّ قريةٍ من قرانا المحتلة، وفجأة يقاطعنا أحد الفتية بسؤال: أنتِ من أيّ بلد؟ فأجبته: "أنا من بربر".. ضحك قائلاً: "..أنتم الذين يقولون عنكم "الطبل في عموريه وأهل بربر بتزرع..؟".

وتدخّل آخر مازحاً: "..يا عيني بربرزي بربرة..". فأخذت أشرح لهم جميعاً الفرق بين "بربر" و"بربرة" وهم ينظرون بعيونهم الصغيرة ويسرحون في أرض أجدادهم التي يفصلها عنهم جدارٌ عازلٌ إسرائيلي.

مجدل جاد

"أسماء أبوشرخ" (15 عاما) تؤكد أنّ والدها دائم الحديث لها ولأخوتها عن مدينتهم "المجدل" عن جمالها وروعة الحياة فيها، والتي تُعتبر من أقدم مدن العالم؛ والتي أسسها الكنعانيون في الألف الثالث قبل الميلاد، ومعنى كلمة "المجدل" هو "البرج" أو "القلعة".

وأضافت "أسماء" أنّ مدينة "المجدل" كانت تُسمى (مجدل جاد) وهو إله الحظ عند الكنعانيين، وأنّ والدها يخبرها -باستمرار- عن تاريخ بلدتهم وأسماء العائلات، فتقول: "فيما تروي لنا والدتي عن حكايات النسوة في "المجدل" وكيف كانوا يُشتهرون بصناعة الغزل والنسيج.. "وتابع "أحمد" (شقيق أسماء) حديث شقيقته عن سوق الجمعة، الذي تُشتهرُ به مدينة "المجدل" حيث يتمُّ فيه تبادل البيع والشراء بين الوافدين من أهل المدينة والقرى المجاورة للمجدل.

تتمنى "أسماء" أن يكون إحياء ذكرى النكبة أكبر

نعمة إبراهيم

مذكرات
زوجة واقعية

وأكثر من الفعاليات التي تُقام في غزة، وأن يكون هناك تخطيط بين أهل القرى المختلفة لتذكير الصغار بالتراث الفلسطيني وبعادات وتقاليد بلداتنا، حتى نتعلم وننقل جميع هذه العادات والمعلومات لغيرنا من أشقاء وأبناء وجيران.." وفق قوله.

مفتاح وأوراق

من مخيم جباليا للاجئين شمال قطاع غزة انتقلنا لذاكرة اللاجئين في مخيم الشاطئ غرب مدينة غزة، حيث دعتنا الطفلة "سيرين أبو شوفي" (13 عاما) إلى بيت جدّتها لتناول الشاي، ورؤية شيء قديم تحتفظ به..

ساقنا الفضول إلى بيت "سيرين" ذي الغرف الثلاث الضيّقة والسطح القرميدي، وهناك على أريكة قديمة كانت تجلس امرأةٌ تسعينيةٌ غطّت وجهها تجاعيد يقرأ الناظر إليها تاريخ فلسطين بأكمله، جلسنا إلى جوارها للحديث معها عن بلدتها "هربيا" فبدأت الحاجة "أمينة" حديثها بتنهيدة أقرب ما تكون للنواح والبكاء وقالت: "آآآخ على "هربيا" وعمرنا اللي راح وحنا نستنى في هربيا" وتابعت بلهجة عامية قريبة إلى القلب: ".. بتذكّرْ يا بنيتي؛ كان فيها الدور مبنية من الطوب، وأرا ضي وبساتين، وكان حوالين القرية حوض للمياه ومسجد ومدرسة ابتدائية.." وتابعت بألم: ".. إيش بدّي أتذكر لما أتذكّر عن هربيا"..

سكتت الحاجة "أمينة" برهةً وأضافت: "..أكبر قدما أكبر ما بنسى هربيا، يمكن أنسى اسم هالبنت -وأشارت إلى حفيدتها سيرين- لكن ما بنسى هربيا، وهي كمان لازم تظل تتذكر بلدها وكأنها مولودة فيها..".

وتؤكد "سيرين" أنّ جدّتها تجلس من وقت لآخر تستعيدُ الذكريات عن "هربيا" فتحدّثها عنها وعن جدّها وزواجها وعادات أهل "هربيا" في الزواج والأفراح، وعن اليوم الذي هجم فيه اليهود عليهم وهربوا من بلدهم إلى غزة.

وتضيف "سيرين": ".. كبرت جدّتي وبدأت ذاكرتها تفقد الكثير من الكلام والحكايات التي كانت ترويها لنا من قبل، لكن أنا لن أنسى تلك الحكايات، وسوف أرويها لإخوتي الصغار وأولادي حتى نتوارثها جيلاً بعد جيل".

وقبل أن نغادر المنزل؛ ذهبت "سيرين" سريعاً لإحضار "المفاجأة" وإذا بها تمسك بيدها مفتاحاً وأوراق الطابو الخاصة بأرض جدّها وقالت: ".. جدّتي ورثت هذا المفتاح والأوراق من سيدي، وأنا طلبت منها أخبيهم عشان لما نرجع لأرضنا..".

وصية سيدي

قبل ثلاثة أعوام توفي الحاج "أبو ناهز" عن عمرٍ يناهز (92 عاما) قضى أحلى أيامها في قريته "دير سنيد" ورث عشرات الدونمات وكروم وبيارات ومنزل كبير لكلّ العائلة، ترك "أبو ناهز" ورثته وذكرياته لحفيدته "نور" (16 عاما) التي بدورها تحفظ عهد ووصية جدّها، بألا تنسى أبداً حلم العودة إلى "دير سنيد".

تقول "نور": ".. أنا نفسي ؟؟؟؟؟ ؟؟ناوأقعد هناك.؟؟؟؟ ؟؟؟ كرم عيلتنا وبيارتنا الكبيرة.. لهذا؛ لن أنسى وصية جدّي، وإن لم يشأ اللهّ أن أذهب إلى دير سنيد، سأستمر في رواية نفس الوصية و نفس الحلم لأولادي ولأحفادي حتى تبقى بلدنا راسخةً في عقول الصغار؛ كما حملها الكبار لنا..".

"نور" عرفت الكثير من كبار السن في عائلتها، جميعهم توفوا، لكنها تؤكد أن جُلّ رفيقاتها وصديقاتها في العائلة يعرفن عن "دير سنيد" كما تعرف هي، بل إنّهنّ يجلسن من وقت لآخر تروي كلٌّ منهنّ ما رواه لها جدّها عن القرية، فتحفظ كلُّ واحدةٍ منهنّ معلوماتٍ عن القرى الأخرى، حتى أصبحن -على حدّ وصفها- "موسوعة".

أكثر من عشرين طفلاً جلسنا إليهم وتحدّثنا معهم في مخيّمات القطاع، علّنا نجد من يشفي غليل "جولدا مائير" ويثبت مقولتها الشهيرة، لكنّ أطفال غزة هزموا إسرائيل ورئيسة وزرائها السابقة بحفظهم تاريخ بلداتهم وأسماء القرى والبلدات المجاورة؛ حتى في أدقّ التفاصيل عنها. "نور" و"محمد" و "سيرين" و"أسماء".. وغيرهم الكثير من الأطفال؛ موسوعة فلسطين التاريخية، التي تكبر في عقول صغارها، يعلّمونها لأبنائهم و لأحفادهم لتظلّ صور الأرض والكروم وبيوت العائلة تعيش فيهم كما لو أنهم يعيشون فيها..! ●●

دقائق..!

كنت منهمكةً وأعمل بصمت، قرّرت أن أخلق أجواءً خاصةً بغرفة تكتظُّ بالألسنة والعيون، وضعت سمّاعة الجوّال في أذني وسمعت صوتاً جميلاً يقول: "بتجيبلي متّه تذكار؛ شي ورقة وشي صورة".. ونظرت حولي فإذا بي أرى شفاهً كثيرةً تتحرك ووجوهاً عابسةً، وجوهاً مبتسمةً، أجساداً تهتزّ من شدّة الضحك، وواحدةً صامتةً بجوارها أخرى تبكي، وثالثةً تتحدث يستمعون لها، منظرٌ متناقضٌ مع كلّ مظاهر الفوضى والضحك وفيروز. شدّني الموقف؛ خصوصاً أنهم الأقرب منّي من بين كل الموجودين، قرّرت بفضولي الإنساني وتعاطفي مع التي تبكي والتي تشتكي أن أعرف ما بهن، تخلّصت من السماعة؛ وإذا بضجة تشبه ضجّة المصانع؛ بالكادّ أسمعُ نفسي إذا تحدّثت، ومع ذلك؛ قرّرت أن أسمع، وتنصتّ إلى حديث النساء الثلاث بعد أن استأذنتُ عيوني منهن، في البداية لم أستطع السمع بشكلٍ جيّد، دقائق وانتهت السيدة الأولى من الحديث وبدأت أخرى بالحديث قائلة: "7سنوات وهو في الغيبوبة" سمعتها أوضح من صوت فيروز في أذني، كانت تمسح الكحل من عينيها وهي تتحدث، وكأنها تمسح بقايا الأمل في شبابها، وأخذت تروي حكايتها التي هي -بعبارةٍ واحدة- تختصرُ قصّة مئات النساء، زوجة أصيلة -بمفهوم العُرف والعادة- تزوّجت وهي في سنّ 21عاماً، وقع زوجها في غيبوبةٍ منذ7سنوات وإلى الآن، وذلك بعد 5 شهورٍ من زواجهما، وهي الآن تعيش هنا مع أهلها، وزوجها يعيش في السعودية عند أهله نظراً لصعوبة استخراج الإقامة في السعودية بالنسبة للفلسطينيات المتزوّجات من مقيمين بالسعودية، وأصبح هناك حالاتٍ كثيرةً وكأنه زواج الإجازات والمواسم.. أصبحت 28سنة، تنتظر ماذا؟ أهلها لا يسمحون لها حتى بالزيارات؛ لأنهم يعتقدون أنّ زيارة الأموات مكروهة..! وفي نفس الوقت؛ لا يفكرون أبداً بتطليقها؛ لأنهم أيضاً يعتقدون أن زوجها لازال ينبض بالحياة ومن العيب جداً أن تتخلّى عنه في مثل هذه الظروف. تناقضٌ غريبٌ، وهي تقول: "أنا نسيت شكله، وبدعي اللهّ يرحمه، بسّ كمان اللهّ يرحمني" أما أنا فتنهّدت تنهيدةً طويلةً واكتشفت أنني كنت أسمع صوتاً واحداً هو صوتها وهي تتحدث، وأنني أيضاً كنتُ أرى الآخرين مجرّد شفاه تتحرك، وضعت السماعة مرةً أخرى في أذني؛ وأنا مثقلةً جداً بما سمعته.. فلم أسمع من جديد صوت فيروز..! ●●

سمر الدرملي

العمالة للأعداء.. الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون..!

لم تبحث مراراًوتكراراًعن فستانٍ أبيض ليوم زفافها؛ كما باقي الفتيات بنات جيلها؛ بل إنها وفور قياسها لأولّ فستانٍ وفي أول محلٍ تجاريٍ؛ استعارته دون أدنى تردد، فهي لا تحب الظهور للناس كثيراً، أو الخروج للتجوال في الشوارع.

"ن ع" (البالغة من العمر20 عاماً) هي ابنة العميل "ك. ع" تقول إنها وفور اكتشاف عمالة والدها للاحتلال الإسرائيلي؛ شعرت بأن "الدنيا ضاقت عليها..واسودّت في وجهها"فهي وجميع أفراد أسرتها لم تتوقع يوماً أن يكون والدها الذي يعيش معهم تحت سقفٍ واحدٍ ويأكل معهم على مائدةٍ واحدةٍ "خائناًللدين والوطن".

"بنت الجاسوس"

تقول "ن. ع":"عندما تقدم "زيدٌ" لخطبتي لم يهمنِ كثيراً مواصفاته وكم سيعجبني شكله بقدر ما أعجبني تعامله معنا كأسرةٍ أكتُشِف تورطُ أحد أفرادها بالعمالة لإسرائيل، وعلى الرغم من ذلك؛لم يبالِ بالأمر، ونسح نسباً بيننا وبين عائلته..".

وأضافت "ن.ع" بينما تملأ عينيها نظراتُ حزنٍ وقهرٍ دفين: "..أصعب شيء في حياتي هو أن أجد المجتمع بأكمله وقد تبرأ من والدي، وقد أجبرني على التبرؤ منه أنا أيضاً.. أشعر بالتناقض والحيرة في مشاعري، فهو والدي الذي شاب شعرُه وهو يربيني، وفي نفس الوقت هو ذلك الفلسطيني الخائن..وقد يكون القاتل-".

ويقبع والد "ن.ع" في أحد السجون الأمنية للحكومة المقالة في غزة، ولا يقوم أيٌّ من أفراد أسرته بزيارته أو السؤال عنه، يُذكر أن العملاء أو "الجواسيس" أو "الطابور الخامس" هي مصطلحات وتعابير كثيرة تُطلق في غزة على كلّ من يتعاون مع الاحتلال الإسرائيلي ويقوم بالتجسس لصالحه، وينقلُ له أخبار المقاومة والمجتمع الفلسطيني ومؤسساته، كذلك كل من يقوم ببيع الأراضي الفلسطينية له ولا تزال الأجهزة الأمنية الفلسطينية في قطاع غزة تتابع وتراقب هذه الظاهرة عن كثب، وللاحظ أن الأذى يلحق بأسرة العميل برمّتها، إذ يُعرضُ كثيرٌ من الناس عن إقامة علاقات عمل أونسب أوجيرة مع أسرة العميل.

والدة "ن.ع" قالت وعبراتٌ تخنق صوتها: "طالما حرصت على أن يكمل أولادي تعليمهم الجامعي،لكن؛ للأسف بناتي الاثنتين تركتا الجامعة والتزمتا البيت بعد اكتشاف أمر والدهما وانتشار الخبر بين الناس، بينما استمر ابني الأكبر".وأضافت: "..منذ اكتشاف أمر زوجي أصبحت تُطلقُ علينا ألفاظٌ تخرق آذاننا كالسهام: بنت الجاسوس.. هادي زوجة العميل. ومن يومها حركتنا قليلة ومابنطلع إلا للضروري".

يُذكر أن زوجة العميل "ك. ع" تعاني الآن من أمراض الضغط والسكري؛ وذلك بسبب "حزنها الشديد على زوجها وما آل إليه حال أسرتها".

تقول: ".. أطلب من اللّه أن يغفر لزوجي ويهديه لما فيه صلاح للإسلام والوطن.. وأتضرع إليه ليلاً ونهاراً أن يسترعلى بناتي، ويحمي ابني".

أما "ه.ج" فقد قام بتطليق زوجته بعد أن اكتشف أن عمّها عميلٌ لإسرائيل، إذ لا يريد أن يمتدّ العارلأولاده وبناته في المستقبل؛ على حدّ تعبيره.

وأشارإلى أنه من "عائلة مناضلة ومعروفة بسمعتها الوطنية الشريفة منذسنوات،ولا يقبل على نفسه أن تكون أمّ أولاده عمها عميل، لذا؛فقد قطع اتصاله بها تماماً، كما منع أولاده من التواصل معها".

"انكشفت"

العميل (خ.و) ويقبع في أحد السجون الأمنية بغزة حيث تم اكتشاف عمالته منذ عام واحد وفي حديث خاص لنا قال "أشعربالحزن الشديد على ما وصلت إليه بعد هذا العمرالذي عشته حيث أبلغ62 عاماً وكنت متخابراً مع الاحتلال الإسرائيلي منذ 40 عاماً تقريباً، وأخجل كثيراً من نفسي ومن النظر حتى في المرآة".

وعن طبيعة علاقته بأهله أضاف "كانت علاقتي مع أهلي وجيراني سابقاً علاقة جيدة وحميمة وكنت محبوباً بينهم، خاصةً أنني لم أكن أتخلف عن مساعدتهم عند الحاجة، كما أنني كنت معروفاً في مسجد الحارة التي أسكنها حيث كنت دائماً أشارك في تنظيف المسجد ومحيطه، وأساعد شباب المسجد في العمل التطوعي، لكنني بعد أن انكشفت للأسف لا أستطيع وصف شعوري بالخزي من أهلي ومن الناس كافة".

وتابع "ما زال فقط ابني يحضر لزيارتي وهو يعتصر خجلاً وألماً، وأنا أشعر بذلك حتى أنني عندما أجلس معه لا أستطيع النظر في عينيه وربنا يصبره هو وباقي عيلتي على المصيبة التي وضعتهم لهم، والله أنا خايف عليهم كتير لأنه الناس ما بترحم وأكيد هم الآن معزولين عن محيطهم كله، وخايف عليهم أكثر من الاحتلال أن يحاول الانتقام منهم أو يعمل شيء في أحد من أبنائي بعد ما انكشفت، أو حاولوا أنهم يستغلوا نفسيتهم السيئة ويسقطوا أحد أولادي مثلما ضحكوا علي واستغلوني".

ونصح (خ. و) الشبان بأن لا يسيروا في طريق العمالة ويتفانوا في خدمة الوطن والدفاع عنه، ولا يتركوا مجالاً لأن يضحك اليهود عليهم كما ضحكوا عليه وأسقطوه".

وأكد على ضرورة أن يسارع كل العملاء بإعلان التوبة وتسليم أنفسهم للأجهزة الأمنية الفلسطينية، ولا يخافوا من سوء المعاملة إذ سيجدوا الرعاية والتأهيل والنصح الرشيد.

وقال (خ و): "أمنيتي في هذه الحياة أن يغفر الله عز وجل ذنوبي، وأن يجعل الناس ينسوا مصيبتي حتى يستطيع أهلي وأولادي أن يعيشوا ويكملوا حياتهم".

الترغيب لا الترهيب

م. "إيهاب الغصين" (الناطق باسم وزارة الداخلية والأمن الوطني) قال إن "الخطيئة تصيب الشخص نفسه وليس عائلته، وعلى المجتمع ألا يجعل من أهل العميل ضحايا خطيئةٍ ارتكبها الوالد أو الابن أو الخال أو أيٌّ من أفراد الأسرة.. "مشدداً على "..أهمية تكاتف مؤسسات المجتمع المدني والرسمي كافة لتقديم الدعم والسند لأهلي العملاء، والاطمئنان على أوضاعهم الاجتماعية والمادية..".

وأضاف أن "..العام الحالي 2011 تم تنفيذ حكم الإعدام بحقّ اثنين من العملاء، والعام الماضي في اثنين آخرين." مشيراً إلى أن"..ذوي هؤلاء العملاء لم يفتحوا بيوت عزاءٍ لأبنائهم، كما أنهم رفضوا توديعهم..".

وقال م. "الغصين": "..يصدر حكم الإعدام بحق العملاء المشاركين مشاركةً فعليةً في القتل المباشر للمقاومين".

وبخصوص عدد العملاء في سجون الأمن الداخلي التابعة لحكومة غزة قال م. "الغصين": "..الرقم عليه تعتيم. فليس من مصلحتنا إعطاء رقم كي لا نخدم هذه الأرقام الاحتلال الإسرائيلي".

وتابع "الغصين": "..استخدمنا أسلوب الترغيب وليس الترهيب، لدرجة أن عدداً من العملاء المخضرمين تابوا وسلّموا أنفسهم من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948، وطلبوا منا أن نبقيهم آمنين في غزة".

إعادة دورة الإنتاج

د. "فضل أبوهين" (مدير مركز التدريب المجتمعي وإدارة الأزمات، أستاذ علم النفس بجامعة الأقصى بمدينة غزة) قال إن "أسوأ الأثر النفسي يكون جرّاء اكتشاف تورّط أحد أفراد العائلة بالعمالة.."ويقع أكثره على الزوجات لأن هذا يعتبر "معرّةً اجتماعية" تهدد نظرة المجتمع لها ولعائلتها، لاسيما أن"..العمالة بمثابة خدش لحياء المجتمع وجرم ضد المجتمع بأكمله".

وأضاف: "..الأسرة بأكملها تصبح في حالةٍ من الكرب والشقاء النفسيّ، كما تتقوقع على نفسها وتُعرض عن المشاركة في الكثير من المجالات التي تضطرها للاحتكاك بالناس كما تهتزّ العلاقة بين العائلة والوسط المحيط بها".

وعبّر "أبوهين" عن غضبه تجاه معاقبة المجتمع لأسرة العميل بأكملها على جرمٍ هم غير مسئولين عنه، مطالباً بـ"تنفيذ حملات إعلامية وتوعوية تدفع باتجاه مؤازرة أهالي العميل والوقوف بجانبهم وعدم تشجيعهم على الانعزال؛ لأن ذلك قد يُعيد دورة إنتاج عميلٍ آخر".

تعميم المشاعر..

المواطنة نهى. ج اعتبرت أن أكثر الفئات تأثراً بكشف عمالة أحد أفراد الأسرة هن النساء لا سيما غير المتزوجات منهن إذ تقل فرص واجهن بعد أن يعرض الكثير من الرجال عن خطبتهن، كما أن المتزوجات منهن يصبحن أكثر تعرضاً للعنف من قبل الأزواج إذ يبدؤوا بمعايرتهن والتقليل من شأنهن والحط من كرامتهن، هذا إن لم يتم تطليقهن على الفور.

وقالت: "تشويه الصورة والسمعة يطال جميع أفراد الأسرة بعد كشف عمالة أي من أفرادها وهذا ظلم كبير وتعزيز وتكريس لتفسخ العلاقات وعزل أسرة العميل عن محيطه".

من جهته اعتبر المواطن "أحمد حسين" أن "الكثير من العملاء يقومون بجرائم خطيرة، فنشعر تجاههم بالحقد ونطالب المسئولين بعدم الاكتفاء باعتقالهم أو تسليمهم للأجهزة الأمنية، بل بتنفيذ القصاص بحقّهم بشكلٍ عاجلٍ وسريع، لكن هذا لا يعني أن نُعمم مشاعرنا هذه على باقي الأسرة، فنشعر تجاهها بالحقد والازدراء".

ويخالفه الرأي زميله "مؤمن. د" الذي اعتبر أن "الأسرة لولا فسادها وعدم متابعتها ورعايتها السليمة لكل فردٍ فيها لما نبت فيها فردٌ خائنٌ جبان.".

فتح باب التوبة

ويقول فقهاء المسلمين في عقوبة الجاسوس أن ذلك يرجع إلى مدى جريمة الجاسوس، ومقدار توغّله في خدمة الأعداء ومساندتهم، وماذا ترتّب على ذلك من مضارّ، كأن يسهّل قتل مسلمٍ أو نحو ذلك، ويجب أن يُردّ ذلك إلى محكمةٍ مسلمةٍ تنظر في جرائمهم، وتقيم حكمها على أساس البيّنات، لا على مجرد الدعاوى أو الشبهات، فمن أعان الأعداء على أهله وقومه ودلّ على عوراتهم حتى ترتّب على ذلك سفك دمٍ حرام؛ وجب أن يُقتل لا محالة، لأنه شرٌّ من قُطّاع الطريق الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، ومن لم يبلغ هذه الدرجة عُوقب بما يناسبه إذا ثبُت عليه، وينبغي التشديد في الإثبات حتى لا يُعاقب أحدٌ بغير حق، ومن صحا ضميره وأراد أن يُكفّر عن ما ضيه فبابُ الجهاد أمامه واسعٌ، عسى الله أن يُبدّل سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيما. الشيخ "حامد البيتاوي" (رئيس رابطة علماء فلسطين؛ والقاضي في المحاكم الشرعية) اعتبر أنه لمعالجة الجاسوسية لا بد من العمل على عدّة محاور أساسيةٍ منها: تربية أبناء الشعب الفلسطيني التربية الإسلامية الصحيحة؛ من عقيدةٍ سليمةٍ وخُلُق، حتى يكون لكلّ مواطنٍ دينُه القويمُ والمتينُ الذي يمنعه من الجاسوسية والعمالة، وضرورة وجود قانونٍ حازمٍ وحكمٍ شرعيٍ يردعُ أمثال هؤلاء الجواسيس كما ينبغي فتحُ باب التوبة لمن تورّط منهم في هذا الجُرم، فإنّ باب التوبة مفتوحٌ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. ●●

صحة المرأة بعد الأربعين

أخصائية نفسية: "نساء يفضلن عدم إقامة علاقات اجتماعية في سن الأربعين"

طبيبة مختصة: على المرأة إجراء فحوصات دورية للاطمئنان عل سلامتها

ياسمين سائق الله

تتمتع المرأة -بصفةٍ عامة- بنشاطٍ وحيويةٍ عند المراحل الأولى من عمرها، فهي تعطي وتبذل كلّ طاقتها من أجل القيام بمهامها وواجباتها؛ سواءً داخل البيت أو في عملها، ما يجعلها بحاجة ماسة إلى مزيدٍ من الاهتمام والراحة كي تقدّم المزيد طيلة حياتها.

في التقرير التالي تسلّط "الغيداء" الضوء على صحّة المرأة بعد سنّ الأربعين، والعوامل التي تتأثر بها خلال وبعد هذه المرحلة العمرية؛ سواءً على الصعيد النفسي أو الجسدي، وغيرها من التفاصيل في سياق هذه السطور.

مر آمن..!

"نجاح شعبان" (الطبيبة بمركز صحّة المرأة في جبالية) قالت: "إنه "وبعد سن الأربعين تظهر تغيّرات في مستوى الهرمونات؛ والتي تتسبب في انقطاع الدورة الشهرية، تصاحبها بعض الأعراض كنوبات السخونة في معظم أخاء الجسم، وحدوث آلام، وهشاشة في العظام، بالإضافة إلى أنها تصبح أكثر عرضةً للإصابة بالضغط والجلطات، كما وتتعرض لاضطراباتٍ في النوم مثل الأرق وقلّة الخلود للنوم".

ووفق د. "شعبان" فإنّ "المرأة كي تتجاوز هذه المرحلة بسلام فإنّ عليها السير وفق إجراءات معيّنة، متابعةً: "على المرأة في مثل هذا العمر إتباع بعض الإجراءات الهامّة لتتجاوز هذه المرحلة بأمان كاتباع نظامٍ غذائيٍ معيّن، والإكثار من الخضروات؛ خصوصاً الورقية والحمضيات، وشرب الحليب، لاحتوائها جميعاً على الفيتامينات التي تساعدها في هذه الفترة على الحفاظ على صحتها و سلامة عظامها".

ونوّهت إلى أهمية مزاولة الرياضات مثل: المشي والجري والسباحة، وغيرها من الرياضات الأساسية والمهمّة في هذه المرحلة لما لها من أهمية بالغة في هذا العمر، مفسرةً: "كي تتخطّى المرأة هذه المرحلة بسلام يجب عليها أن تهتمّ بنفسها، وألا تتغاضى عن الأعراض التي تتعرض لها في مثل هذه السنّ، لذا: عليها اللجوء إلى المراكز الصحية للاستشارة والمراجعة.

وعلى النساء -وفق "أبوشعبان"- إجراء فحوصات دورية للاطمئنان على سلامتهن؛ كفحص الثديّ وعنق الرحم؛ خوفاً من حدوث التهابات وسرطانٍ في الرحم، إضافةً إلى فحوصات الدم والبول والضغط والسكر؛ بشكلٍ دوريٍ؛ لما لها من أهمية.

"حنان الكيلاني" (46 عاماً، أم لسبعة أبناء) قالت: "إن دورتها الشهرية غير منتظمة، لذا؛ تشعر باضطراباتٍ جسديةٍ ونفسيةٍ كبيرة، وتضيف بأن أكثر ما يزعجها في هذه المرحلة العمرية نوبات السخونة، والقلق، والتوتر النفسي.. وهي الأعراض التي تشعر بها من حينٍ لآخر".

وأوضحت "الكيلاني" أنها من السيدات اللواتي لا يرغبن في الاختلاط بالخارج وتكوين العلاقات، قائلةً: "لا أفضّل الخروج من البيت إلا لقضاء بعض الاحتياجات الهامة، فلا أحب التعامل مع الآخرين في هذا الوقت؛ لأنني لا أرغب في زيادة همومي ومشاكلي النفسية والاجتماعية، فكلّ شخص لديه ما يكفيه في هذه الحياة.." مستدركةً: "ما

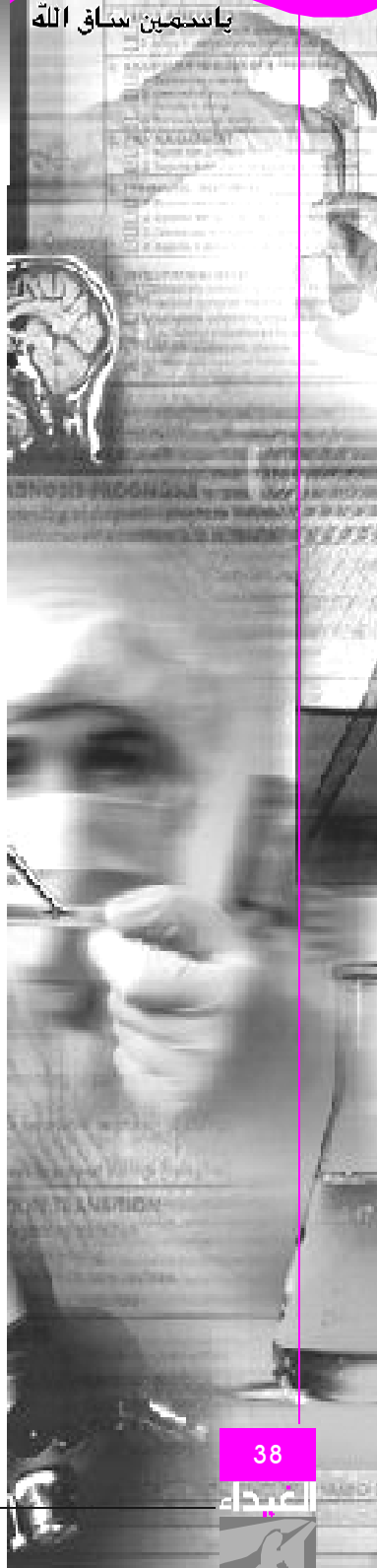

تحدثت به لا يعني أنني ضد العلاقات الاجتماعية في هذه المرحلة العمرية".

"الكيلاني" لم تفكر يوماً في الذهاب إلى أيّ مركز لصحة المرأة لعلاج ما تتعرض له من مشاكل نفسية أو جسدية تصاحب المرحلة العمرية التي تعيشها، حيث تضيف: "لا أري بأن هناك دواعٍ لطرق باب المراكز الصحية، فهكذا تعودت طيلة حياتي، وربما يُعتبر تقصيراً منّي؛ لكنني لا أحب الحديث عن مشكلاتي".

حرص وتغيّرات

"سهى موسى" (الأخصائية النفسية) دعت النساء -بدورها- في هذه المرحلة للمحافظة على سلامتهن النفسية، والتركيز على ما هو مهمّ في حياتهن العملية والأسرية، وكل ما يُبعد عنهنّ الضغوط النفسية، لذا يجب عليهن أن يكنّ حريصات ما سيتعرضن له من ضغوطات وأعراض في هذه المرحلة.

وأشارت "موسى" إلى أنّ: "المرأة تحتاج لرعاية خاصة، وتحديداً بعد تجاوزها سنّ الأربعين، فهناك الكثير من العوامل التي تؤثر عليها مثل: الاضطرابات في النوم (الأرق وقلة النوم) وبعض التغيرات في تركيبة الوجه، فكلّ ذلك سببه انخفاض في هرمون "الإستروجين" والذي يسبّب المشاكل النفسية لها".

وقالت "موسى" إن "المرأة في مثل هذا العمر وانعدام الشهية في بعض الأوقات، ما يؤدي إلى حدوث قلقٍ نفسيٍ يصل إلى درجة الاكتئاب، وزيادة الشكوك، وعدم الرغبة في ممارسة الأعمال الروتينية المعتادة" موضحةً أن المرأة يجب أن تتمتع بالوعي والثقافة حول هذه المرحلة، قائلة: "يجب أن يكون لديها علم بالتطورات النفسية والجسدية التي تصاحب هذه المرحلة، ويجب أن تستمر نشاطاتها المعتادة سواء في المنزل أو العمل، بالإضافة إلى ممارسة الرياضة؛ لأنها تمنحها الشعور بالاستقرار والثقة بقدرتها على العطاء". ودعت "موسى" المرأة إلى ممارسة الأنشطة الاجتماعية؛ كالزيارات والمشاركة في الأعمال الترفيهية.." مؤكدةً على أنّ "..للزوج دورٌ مؤثرٌ في استيعاب وتفهّم زوجته في هذه المرحلة العمرية؛ للخروج من هذه المرحلة بأمانٍ وسلام.

"موسى" أكّدت أنّ الحالات التي تتعامل معها في هذه المرحلة تكون -في الأغلب- قد وصلت لمرحلةٍ نفسيةٍ سيئة، ما يجعلها تتعامل معها ببعض النشاطات التي تمنحها الاستقرار النفسي؛ كممارسة التنفس الصحيح لبضع دقائق، وجلسات الاسترخاء التي تشعرها بالراحة والهدوء؛ وغيرها من النشاطات التي تُعدها للمرأة في هذه المرحلة.

علاقات متفاوتة

بدوره؛ قال "عطا أبو ناموس" (الأخصائي الاجتماعي في جمعية الوداد للتأهيل المجتمعي): "إن "طبيعة العلاقات الاجتماعية للمرأة في هذه المرحلة العمرية متفاوتة"، موضحاً أن بعض النساء في هذه المرحلة العمرية يُفضلن الجلوس في البيت لرعاية الأبناء وتلبية احتياجات ومتطلبات المنزل؛ حيث تكون في هذا العمر قد مرّت بتجارب حياتيةٍ كثيرةٍ جعلتها تتغلّب على المشاكل الاجتماعية التي تتعرّض لها.. فالمرأة -وفق "أبو ناموس"- اكتسبت في هذا العمر الخبرات والدراية بالعلاقات الاجتماعية التي تؤهلها إلى زيادتها؛ سواء داخل أسرتها وأقاربها أو خارجهم، لأنها بحاجة لهم، وعليها ألا تنغلق على نفسها، مضيفاً: "بعض النساء يغلب عليهنّ الاجتماعية، ويرغبن أن يكوّن شبكةً من العلاقات الاجتماعية ويحافظن عليها، وبالتالي؛ مهما بلغن من العمر فلا يستغنين عن علاقاتهن".

وأكد على أنّ "الكثير من النساء في مثل هذا العمر يعملن في مؤسسات حكومية وخاصة، ويمارسن نشاطهن بكلّ حيويةٍ وفعاليةٍ دون الاكتراث للعمر، ممّا يؤكّد على أنّهن قادرات على التعاطي مع المجتمع".

وأشار "أبو ناموس" إلى وجود فئة أخرى من النساء يفضّلن عدم إقامة علاقات اجتماعية؛ خاصةً بعد التغيرات التي تطرأ عليهن، قائلاً: "بعض النساء عندما يصلن لهذه المرحلة تبدأ بعض التجاعيد بالظهور على وجوههن، ما يجعلهن يخجلن من مواجهة الناس والمجتمع؛ مفضلاتٍ البقاء في البيت لرعاية أسرهنّ وبناء ذاتهن ورعاية أبنائهن، ويبدعن في ذلك؛ لتصبح أسرهن في قمة أولوياتهن".

المرأة بكافة مراحلها العمرية تمثّل عنصراً فعالاً في بناء العلاقات الاجتماعية داخل أيّ مجتمع، -حسب "أبو ناموس"- داعياً إياها للمشاركة في بناء المجتمع؛ كي لا يأتي الوقت وترى أنها حبيسة المنزل وتصبح في عزلة، فعليها الاستمرار في بناء العلاقات، وهذا من شأنه تشجيع المجتمع على بناء علاقاتٍ اجتماعيةٍ سليمة". ويتابع: "المرأة معطاءة في كلّ وقتٍ وحين، وهي الشابّة وفي سنّ الأربعين وبعد الأربعين، فهي النصف الآخر للمجتمع، وقادرة على العطاء والتضحية حتى ما بعد هذا العمر". ●●

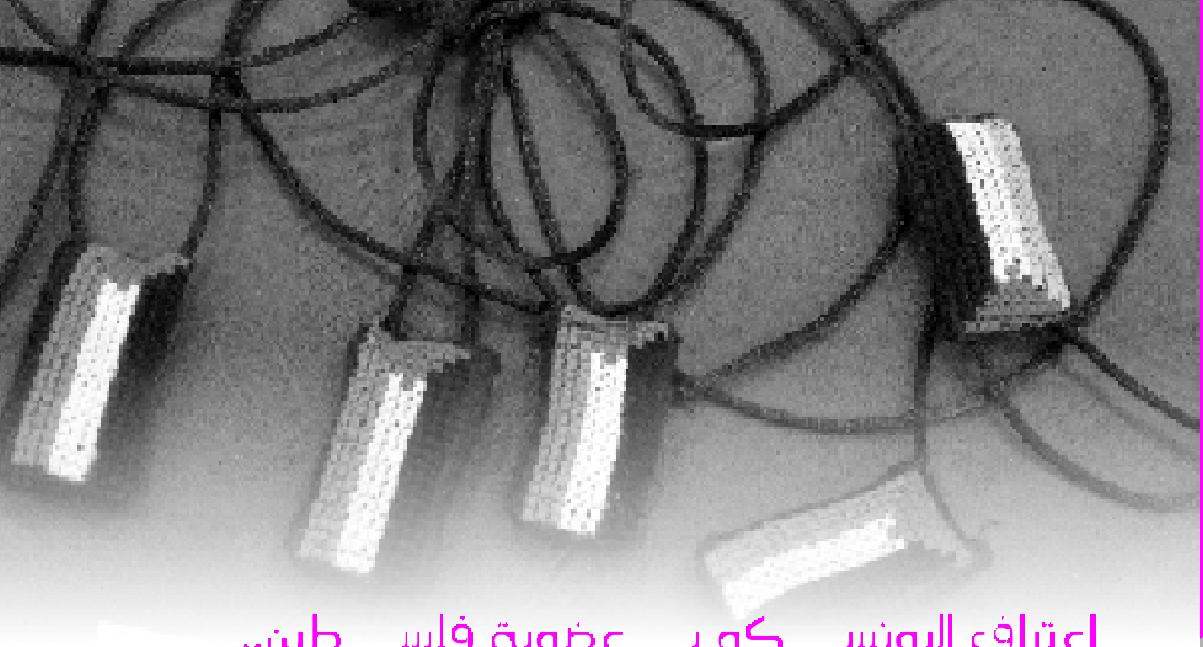

اعتراف اليونسكو بـ عضوية فلسطين..
رد اعتبار للآثار الفلسطينية وطريق لإعلان الدولة

عماد أبو شاويش

كان اعتراف اليونسكو بعضوية فلسطين في الأمم المتحدة حقٌّ أصيل انتزع من فم الأسد، فالعالم أجمع على أنها دولة، وللدولة في قاموس العالم معانٍ كثيرة وأهمها أن أي اعتداء إسرائيلي عليها هو اعتداءٌ على سيادتها وسلطتها، وهذا يعني أيضاً أن يد إسرائيل غُلّت بقيودٍ شرعية هذه المرة..

الحق الفلسطيني بدأت اليد الفلسطينية تنتزعه بمجرد أن أُعلن عن فلسطين عضو في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" في 23 من شهر نوفمبر من العام 2011 ما منح كل الفلسطينيين بصيص أملٍ لنيل استحقاق دولتهم كاملة العضوية في الأمم المتحدة بعدَ ذلك.

رد اعتبار

مدير مكتب اليونسكو في قطاع غزة "محمد العروقي" قال: "الأردن كانت هي من يُقدّم عن فلسطين القائمة المؤقتة أو قائمة الطوارئ للحفاظ على الآثار الفلسطينية وحمايتها من الاندثار، وذلك بحكم وصايتها على القدس وبعض مناطق الضفة الغربية، وقبل انضمام فلسطين رسمياً لليونسكو كانت تُعتبر عضواً مراقباً فقط".

ويضيف "العروقي" أنّ: "فلسطين بعد أن تُصبح عضواً كامل العضوية يلزمها أن توقّع على اتفاقيات تلتزم بموجبها بكافة المواثيق والمعاهدات الدُولية التي تخصّ التعليم والتراث وحماية الآثار، وتكون هذه بمثابة مذكرة أوليّة، بعد ذلك يتم مراجعة جميع الاتفاقيات من الدول الأعضاء، وهو ما يُعتبر في بداية الأمر مؤشر خير إضافةً إلى دفع الالتزامات المالية؛ والتي أعتقد أنّ فلسطين ستكون غير ملزمة بدفعها، على الرغم من أنها أحد شروط استكمال العضوية، واليوم؛ بعض هذه المواثيق وُقّعت والبعض الآخر قيد دراسة السلطة الفلسطينية".

يُكمل مدير مكتب اليونسكو في غزة: ".. يعتبر الفلسطينيون الاعتراف ردّ اعتبار لكرامتهم بشكلٍ معنوي؛ حيث يحقّ لهم -وليس لغيرهم بالنيابة عنهم- أن يُقدّموا طلبات إضافة مواقع جديدة على لائحة التراث العالمي، وأن ينال مكتب اليونسكو في فلسطين حصةً إذا ما وُزّعت حصصٌ ماليةٌ لدعم وتمويل المشاريع الثقافية والتعليمية والتراثية والأثرية..".

يُشير "العروقي" إلى الجوانب الإيجابية والسلبية؛ فيقول: "لو تحدّثنا عن الجوانب الإيجابية بعد الاعتراف فهي كثيرة؛ فقد حصلنا على ثقة ودعم أكبر من المجتمع الفلسطيني وبعض الدول العالمية، لكن إذا ما تحدّثنا عن السلبيات فأولها انقطاع الدعم المالي عن "اليونسكو" من إسرائيل والحليف الأول لها أمريكا، وبالتالي؛ الإعلان عن موازنات تقشفية جديدة، ناهيك عن المضايقات الإسرائيلية للمراقبين الدوليين في إخراج التصاريح، ومنع إدخال المواد والمعدّات التعليمية للجامعات الفلسطينية مثل الجامعة الإسلامية وجامعة الأزهر".

يُضيف "محمد العروقي": "نعمل في الوقت الحالي على العديد من الأنشطة؛ كإحياء وترميم التراث المعماري الملموس وغير الملموس، فعلى سبيل المثال؛ بدأنا في توثيق شفهي لبعض الحِرف كالصيد والصيادين والزراعة في قطاع غزة، وفي الضفّة حرفة الطبخ وصناعة الحلويات، لأنها تُعتبر من ضمن العادات والموروثات المكتسبة والمتوارثة شفهياً، وهذا مشروع تجريبي في حال أثبت نجاحه سنعمل على توسيعه وضمّ موضوع توثيق القصص والحكايات.

ناهيك عن ترميم "دير القديس هلاريون" أو ما يسمى "تلّة أم عامر" التي تقع في وسط قطاع غزة؛ كبداية ترميم مواقع أثرية ملموسة..".

تقصير

وتُعتبر "اليونسكو" إحدى المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة، إذ تعترف بـ194 دولة كعضو دائم و8 منتسبين. ويَعتبر الفلسطينيون أنّ الاعتراف بدولتهم كعضوٍ دائمٍ فيها يتيح لهم الحفاظ على تراثهم ومقدّراتهم الإنسانية والثقافية، ويحافظ على مدنهم؛ للحدّ من استمرار الانتهاكات الإسرائيلية؛ بعد أن سُمح لأكثر من 52 مدينةٍ فلسطينيةٍ أن تُضاف للائحة "اليونسكو" والتي لم تكن مدرجةً في الماضي وعلى رأسها العاصمة "القدس".

"العروقي" يقول إن "اليونسكو" مؤسسةٌ فنيةٌ تساعد أصحاب الأرض والشأن على العمل من ناحية جلب الخبراء للكشف والتنقيب عن الآثار، وطريقة حمايتها وترميمها، مضيفاً: "ففي الفترة الأخيرة كنّا نقوم بزيارة أماكن ومقارّ أثرية، فاستمعنا لشكاوى مواطنين عن سرقة بعض الآثار وعدم الاهتمام من قِبل السلطة بحماية هذه الآثار، فكان لزاماً على المؤسسات المحلية والسلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير ورئاسة الحكومة وكذلك حلقة الوصل بين اليونسكو والسلطة المحلية (اللجنة الوطنية لأعمال اليونسكو للتربية والعلوم والثقافة) أن تُقدّم وترفع المقترحات والشكاوي والتوصيات، فنحن جهةٌ فنيةٌ خدماتية، ولا نحلّ محلّ أصحاب الأرض والتراث، ناهيك عن الحاجة في الأيام القادمة لمزيدٍ من الدعم والتأييد والحشد على المستويات الدولية والإقليمية والمحلّية، وتغطية ما تمّ تقليصه من أموالٍ وموازنة".

من جهته يعتبر الدكتور "حمدان طه" (وكيل مساعد قطاع الآثار في وزارة السياحة والآثار في حكومة رام الله) أنّ اعتراف "اليونسكو" حدث تاريخي ونقلة في تاريخ القضية الفلسطينية، حيث يكتسب معنىً كبيراً لأنه يكفل حقوق الفلسطينيين على أرضهم، فبعد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً عن الفلسطينيين سنة 1974م، تمّ منح فلسطين صفة عضو مراقب في "اليونسكو".

التوثيق الثقافي وإقامة الدولة

يقول د. "حمدان": "يحق لفلسطين بعد التوقيع على كامل الاتفاقيات الدولية الترشّح في اللجان المنبثقة عن اليونسكو، والتصويت على القرارات المقترحة والمرفوعة إلى اللجنة في اجتماعاتها الدورية في باريس مقرّ المنظمة، وهذا ما كنّا محرومين منه؛ فيما كانت تتمتع إسرائيل به كعضو كامل العضوية..".

يتابع د. "طه": "في الشهور الماضية وقّعنا على أربع اتفاقيات دولية تؤهلنا للحصول على عضويةٍ كاملةٍ في اليونسكو، الحفاظ على التراث الثقافي، والحفاظ على تراث ما تحت الماء، والحفاظ على التراث غير المادي، والحفاظ على التراث المادي، وهذا ما مكّننا من رفع ثلاث مواقع أثرية كخطوةٍ أولى لتسجيلها على لائحة اليونسكو كمعلمٍ سياحيٍ وأثري، وحمايتها من الاندثار أو السرقة، منها ميناء غزة القديم، ودير القديس هلاريون (329 ميلادي) ووادي غزة..".

ويضيف د. "حمدان طه": "نسعى لأن نضيف كلّ ما يمكننا إضافته وتسجيله في اليونسكو من تراثٍ شفويّ، كأغاني شعبية وفلكلور شعبي ودبكة وملبوسات وأكلات وحرف وقصص وحكايات ومنحوتات ومواقع أثرية، ومعالم دينية، والكثير الكثير".

الأستاذ "ناهض زقوت" (مدير المركز القومي للدراسات والتوثيق) رأى أنّ: "انتصار فلسطين في انتزاع عضوية اليونسكو؛ والتي هي مهمتها الأساسية حماية التراث الثقافي والحضاري، وبالذات أننا تعرّضنا لسرقاتٍ كثيرةٍ من الإسرائيليين، فنحن نحاول الآن أن نثبت حقنا في أرضنا ووجودنا، وهذا دافعٌ معنويٌ لنا لبذل المزيد من الجهد في لفت وجمع التأييد العالمي للقضية الفلسطينية وتراث شعبها وثقافته، وتوثيق لمنتوجاته ومخطوطاته وأبحاثه الأدبية والعلمية..".

وعن عمل "اليونسكو" يقول "زقوت": "اليونسكو تُصدر تقارير كل عام عن المسجد الأقصى وما يُحيط به من مغاراتٍ وجدرانٍ وأماكن أثريةٍ وتراثية، مقدّمة من شكاوى نقدمها نحن عن الانتهاكات الإسرائيلية من حفرياتٍ تحت المسجد الأقصى وسرقاتٍ للأحجار واستحواذٍ على القبور القديمة، وهدم القبور الإسلامية، وتغييرٍ لمعالم الهوية والثقافة الفلسطينية من تهجيرٍ لأهالي القدس الأصليين".

"طلال عوكل" (الكاتب والمحلل السياسي) يعتبر أنّ: "اعتراف اليونسكو بدولة فلسطين أبطلُ كلّ الادعاءات الإسرائيلية، وأثبت بأنّ قبر يوسف ومدينة الخليل والقدس وغيرها هي أماكن تابعة للفلسطينيين وليس كما يدّعون "يهودا والسامرة" والاعتراف حقٌّ للفلسطينيين ولا يمكن التنازل عنه، وقد أصدرت "اليونسكو" قراراً اعتبرت فيه أنّ الضفة وغزة والقدس مناطق لا يُمكن تغيير معالمها ولا يمكن لإسرائيل العبث بالمقدّرات التراثية."

ويؤكد "عوكل" على أن: "هذا القرار يُعطي الحق للفلسطينيين بإقامة دولتهم فوق حدود الرابع من حزيران لعام 1967م، وهذا مهّد الطريق للعالم للاعتراف بالدولة الفلسطينية، وبُطلان كلّ المزاعم والقرارات الإسرائيلية".

يبقى هنا أن الفلسطينيين أنفسهم يجب أن يستغلّوا ويستثمروا فرصة الحصول على عضوية "اليونسكو" على الرغم من المعارضين لارتباط اعتراف "اليونسكو" بإعلان الدولة، وذلك بحشد المزيد من الدعم لنيل العديد من العضويات في جميع المنظمات والمؤسسات الدولية والعالمية لنصرة قضيتهم، وفضح جرائم الاحتلال الإسرائيلي التي لا تتوقف؛ من قتلٍ وتدميرٍ وسرقةٍ وانتهاكٍ للحجر والشجر.

كاميليا أبو سليم

حتماً.. سأعود..!

هناك؛ على التلّ البعيد..
كنت أحيا وأعيش..
كنت... وأحلم..
وأصوّر أحلامي بعيوني..
كانت الألوان أمامي..
كلها جميلةٌ..
صوّرتها أحلامي بها..
واحتضنتها ذاكرةُ قلبي ووجداني..
هناك على التلّ البعيد..
كان لي بيتاً..
وعنواناً..
وفي يومٍ رماديٍّ والشمس غائبة..
حلّ الضباب واحتوى المكان..
لم أعد أرى بيتي..
ولا الورود.. ولا الريحان..
لم أرَ سوى أشباحاً تطردني..
تهجرني..
تُبعدني عن المكان..
تشطبني .
حتى من الزمان..
طردوني..
هجروني..
وبقوا هم في المكان .
ولكنهم لم يستطيعوا أن يسرقوا منّي صور المكان..
المكان والزمان صورته بعيوني..
واحتضنه القلب والوجدان.
ألوان كيف أنساها.
طرّزتها على ثوبي..
لتبقى شاهداً على حكايتي مرّ الزمان..
خسئت أشباحاً طردتني.. هجرتني..
سأظل أنا.
ابنة ذاك التلّ صاحبة المكان ..
قسوة الأيام.. ومرّ العيش..
كلما عاني الصبر علّمتني..
والإيمان أنّ الحقّ عائدٌ لا محالة.. زوّدتني..
أنا هنا..
على أول الطريق..
أنتظر..
وحتما سأعود لداري يوماً على ذاك التلّ البعيد..
كما جئت على الأقدام سائرةً..
خريطتي هي ثوبي المطرّز..
ومفتاحي الذي اختزنته بين ضلوعي على مرّ السنين..
سأعود حتماً..
... أنا

نفين محيسن

لك أنت..!

يا هذا.. حيّرتني في أمري
أرجوك: ساعدني لترسو سفينتي على برّ الأمان
لقد ضيّعتني أمواج البحر..
فتارةً تأخُذُني بجوارك
وأخرى تأخذني للمجهول

فتعبت من معاندتها
فهي تحتاج لقوةٍ لا أمتلكها
فقوّتي أنت، وضعفي أنت
وجنوني أنت
كيف الخلاص منك..؟
وليس ملجأٌ منك إلا إليك
فكلّ الطرق أنت
وكلّ الحياة.. أنت
أخاف عليك من نفسي؛ وأخاف عليّ منك
.....

فالنهاية اقتربت
وأشعر أنّ نهايتي معها
ستكون
ولا أدري ما هو أسوأ
أن أخسر ما لم يكن يوماً لي
أم كيف حياتي بعد تلك النهاية..
ستكون؟
كلّ ما أتمناه سعادتُك وسعادتي
سواءً اجتمعنا على خير
أم افترقنا على آهاتي
فالدواء مرّ.. لكنه يُشفي المريض
كذلك الفراق صعب..
لكنه الحلّ الوحيد
الحل الوحيد

إعداد/ سعاد أبو ختلة

من هنا وهناك..!

هام لصحتك وصحة عائلتك

قبل شراء أي بلاستيك لاحظي هذه الرموز التي تجديها على بعض الأدوات البلاستيكية كالعلب والألعاب وغيرها: المثلث ويعني مادة البلاستيك قابلة للتدوير وإعادة التصنيع، وكل رقم داخل المثلث يمثل مادة بلاستيكية معينة والحروف أسفل المثلث هي اختصار لاسم البلاستيك المرادف للرقم داخل المثلث.

رقم (1) آمن لمرة واحدة، لا تعيد استخدامه.

رقم (2) آمن وقابل للتدوير.

رقم (3) ضار وسام إذا أستخدم لفترة طويلة -و هو أخطر أنواع البلاستيك.

رقم (4) آمن نسبياً وقابل للتدوير.

رقم (5) أفضل أنواع البلاستيك وأكثرها أمناً، يناسب السوائل والمواد الباردة والحارة وغير ضار أبداً

رقم (6) خطر وغير آمن.

رقم (7) تجنبي هذه المادة قدر الإمكان.

طريقة تنفسك يمكنها تخليصك من الصداع والتوتر ..

يدفعنا نظام الحياة المتسارع للقلق والتوتر لذلك توجه الطب الحديث للبحث في الطاقات الكامنة والحيوية ووجدوا أن فتحتي الأنف اليمين واليسار تقوم كل منهما بمهمة : اليمنى تمنح النشاط واليسرى الاسترخاء؛ لذلك يُنصح عند الشعور بالصداع أو التوتر أن تغلق فتحة الأنف اليمنى بيدك اليمنى والتنفس ببطء وهدوء عبر فتحة الأنف اليسرى ولمدة خمس دقائق بهدوء وتركيز فذلك يخلصك من الألم والشعور بالتوتر.

عيب أم حرام أم عادة غريبة..؟!

لا حظنا مؤخراً كتابة اسم العريس كاملاً والحرف الأول من اسم العروس في بطاقات الدعوة للأفراح والتهاني والتبريكات في صالة العرس، شيء غريب..! وكأن البوح بالاسم عيبٌ كبيرٌ يدخل في نطاق المحرّمات، ونفيٌ عظيمٌ للعروس التي يحتفلون بها، هي لا شيء يُذكر، حرفٌ يختزل كينونتها ويحتقر إنسانيتها. لا تستوعب العروس إصرار خطيبها على كتابة الحرف الأول من اسمها؛ رغم أنهما يعملان معاً في مؤسسةٍ واحدةٍ، وتسأله: كيف يعرفني الجميع؟ فيرد عليها: عادة الناس؛ ماذا نفعل..؟!

- يرتعب الطفل في المدرسة ويتعارك مع زميله حتى يسيل الدم؛ والسبب: أنّ زميله يعرف اسم أمه وينديه: يا ابن "فلانة".. مع العلم أن "فلانة" مُدرِسَة في مَدرَسة الإناث الملاصقة لمدرستهم..

- الغريب أن المجتمع ما زال يعتبر البوح باسم المرأة عيباً؛ فلا بأس بتعليمها وعملها؛ لأنها تساعد في تكاليف الحياة، لكنها لا تستحق أكثر من إخاء، مع العلم بأن ذكر الحرف الأول يبعث على الفضول فيخمّن المدعوون وينتابهم الفضول لمعرفة الاسم؛ لذلك عمد البعض للتمويه بذكر حرف مشابه..E فخمّن المدعوون اسماً؛ فإذا بالعروس حرف اسمها A من "ايناس" لـ "آمال" وما زال مجهولاً، متعمدة القصة أم لا؛ فالحقيقة مختزلة و.. عيبٌ الخوض فيها..

حذار من "اللمبة" الموفّرة..!

تحذر وزارة الصحة البريطانية عبر القنوات التليفزيونية مع كلّ فاصلٍ إعلانيٍ من خطورة المصابيح الموفّرة للكهرباء- وهي مايعرف بالنيون-. فهي إذا سقطت وتناثرت أجزاؤها تصبح شديدة الخطورة. وكشفت أبحاث ودراسات بريطانية عن أن تلك المصابيح عند الكسر يخرج منها أبخرة زئبق سام؛ لو استنشقها الإنسان قد يترنّح فوراً ويختل توازنه، ويُصاب بصداعٍ نصفيٍ مزمن. ويُمنع استخدام المكنسة الكهربائية في جمع الحطام حتى لا يتناثر البخار الزئبقي في أرجاء المكان. وأنه يجب الانتظار 15 دقيقة حتى يستقر الغبار على الأرض قبل كنسه بفرشاة عادية ووضعه في لفافة مغلقة والتخلص منه خارج المنزل فوراً. ويقول د." علي عبد الوارث" (الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس): "تكمن الخطورة في تعرّض الأطفال والمسنين ذوي الحساسية إلى أزماتٍ في التنفس تهدد حياتهم". وأوضحت وزارة الصحة البريطانية أنّ "الزئبق خطر داهم. فهو يُحتجز داخل الأنسجة خاصةً في الكلى والكبد والطحال والمخ. ثم تظهر أعراضُ التسمم البسيط مثل التعب وقلّة النوم وحدّة الطبع وفقد القدرة الجنسية وضعف الذاكرة وأشياء أخري. واللمبات الموفّرة يزداد الإقبال عليها في غزة بسبب ضعف التيار الكهربي. ويُستعاض بها عن اللمبات الأخرى في الشبكات الخارجية. ويستخدمها الناس بكثرة دون معرفةٍ بمخاطرها. بل ربما تصبح لعبةً للأطفال بعد تلفها. لذلك؛ وجب اتخاذ تدابير الحيطة والحذر في التعامل معها. ●●

من أخبارها

بعد الانتخابات الرئاسية والاحتفاء بالرئيس المصري محمد مرسي في ميدان التحرير قام منسقو الحملة الإعلامية للرئيس باستبعاد اثنتين من الصحافيات تواجدن ضمن الفريق الإعلامي المتواجد لتغطية خطاب الرئيس الموجه لجموع المحتشدين في التحرير ما أثار دهشة واستنكار لدى الحركة النسوية المصرية وخوف على مكتسبات ناضلن من أجلها.. فهل يزهر الربيع بعيداً عن حدائق النساء..!!.

- حصلت الصحفية والمدوّنة الفلسطينية "أسماء الغول" على جائزة "الشجاعة" للعام 2012 من " مؤسسة إعلام المرأة الدولية" لشجاعتها في نقل ما يجري في الأراضي الفلسطينية، واستمرارها في أداء عملها رغم الصعوبات الكبيرة التي تواجهها، ومنها تلقيها تهديدات عديدة بالقتل.

- الإعلامية "بثينة كامل" هي أول امرأة ترشح نفسها لمنصب رئيس مصر وهي مستقلة، وبرنامجها الانتخابي الأساسي ينصبّ على محاربة الفقر والفساد. ●●

أخبار... وفعاليات المركز

يواصل مركز شؤون المرأة تقديم الأفضل دائما بخدماته وفعاليات المركز التي يستهدف المستفيد

دورات تدريبية

* نفذ "المركز" دورة تدريبية حول "توظيف أدوات التفاعل الاجتماعي في مناصرة قضايا المرأة" بمشاركة عدد من الإعلاميين/ات والمهتمين/ات، وكانت بواقع (25) ساعة.

وتناولت الدورة موضوعات متنوعة أهمها: مدخل عام لمفهوم وسائل الإعلام الاجتماعي واستخدامها في مناصرة قضايا المرأة، خصائص المناصرة باستخدام وسائل الإعلام الاجتماعي، واقع استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي لمناصرة قضايا المرأة في فلسطين والدول العربية، خصوصية الرسالة الإعلامية باستخدام وسائل الإعلام الاجتماعي، واحتراف استخدام "الفيس بوك" (وهو أحد أهم أدوات التفاعل الاجتماعي) وتطبيقاته في مجال المناصرة

وهدفت الدورة إلى صقل مهارات وخبرات الصحفيين/ات في الطرق المثلى لاستخدام أدوات التفاعل وتعميق الاتجاهات الإيجابية لدى الإعلاميين/ات اتجاه قضايا المرأة وحقوقها المشروعة.

* وبهدف تمكين الشباب والفتيات في مفهوم المناصرة والضغط لقيادة حملات لدعم قضايا المرأة، نفذ "المركز" دورةً تدريبيةً حول "مهارات المناصرة والضغط" بواقع (40) ساعة تدريبية لمدة (8)

أيام استهدفت (16) خريجة وخريج من مختلف جامعات قطاع غزة وبالتنسيق مع (15) مؤسسة مجتمعية قاعدية من مختلف مناطق القطاع.

وكان من أهم الأهداف: تدريب فئة الخريجين/ات على كيفية قيادة حملة لمناصرة قضايا المرأة أو قضية مجتمعية أخرى: من خلال شرح مفاهيم المناصرة والمفاوضة وكيفية عمل مبادرة وبناء التحالفات، وتناولت موضوعاتٍ متنوعةً أهمها: آليات واستراتيجيات التأثير، مهارات التجنيد، التخطيط لحملات المناصرة، التحشيد لحملات المناصرة، مفهوم المناصرة والمبادرة، مهارات تصميم المبادرات المجتمعية، ودور الإعلام في المناصرة.

* كما نفذ "المركز" دورات تدريبية حول "تأهيل الخريجات الجامعيات لسوق العمل" نُفذت الأولى منها بمشاركة خريجات جامعيات من محافظتي غزة والشمال، والثانية استهدفت خريجات من محافظتي الوسطى والجنوب، بواقع (40) ساعة تدريبية لكل دورة وبواقع (8) أيام وبمشاركة (25) خريجة لكل دورة على حدة.

وهدفت الدورات إلى المساهمة في تطوير قدرات ومهارات الخريجات الجامعيات الجدد من الناحية الإدارية، وإكسابهن العديد من المهارات الأساسية للدخول في سوق العمل.

وتناولت موضوعات متنوعة أهمها: الجندر، كتابة التقارير، التخطيط، إدارة الوقت، كيفية إجراء مقابلات، كتابة السيرة الذاتية، الاتصال والتواصل، وكيفية العمل ضمن فريق.

* فيما نفذ "المركز" ثلاث دورات تدريبية بعنوان "المساواة الجندرية وتعزيز الذات والقيادة" بواقع (60) ساعة تدريبية لكل دورة على حدة، واستهدفت كل دورة (60) سيدة من ربات البيوت من كافة مناطق قطاع غزة.

وكان هدف الدورات تنمية المهارات الشخصية لدى ربات البيوت وتأهيلهن لسوق العمل، وتناولت موضوعات متنوعة أهمها: مفهوم الجندر، الحاجات الجندرية، تمكين المرأة مفهوم الذات، آليات وخطوات تعزيز الثقة بالنفس، استكشاف الذات، تعريف وأهمية القيادة.

* كذلك نفذ "المركز" دورةً تدريبيةً بعنوان "كيف تبدئين مشروعاً خاصاً بك" بواقع (40) ساعة على مدار (8) أيام، استهدفت ربّات البيوت من صاحبات المشاريع الصغيرة، وتناولت الدورة موضوعاتٍ متنوعةً من أهمها: الريادة، الجندر والتنمية التسويق، دراسة الجدوى، والإدارة المالية للمشاريع الصغيرة، وهدفت الدورة إلى تمكين النساء وتأهيلهن للدخول في سوق العمل؛ على أن تصبح صاحبات المشاريع الصغيرة قادراتٍ على اتخاذ القرار داخل الأسرة.

* فيما نفذ "المركز" دورةً تدريبيةً حول "الإخراج المتخصص" بواقع (50) ساعةً تدريبيةً استهدفت (10) مخرجات ناشئات تمّ تدريبهن العام الماضي.

وهدفت الدورة إلى صقل مهارات المتدربات في فنّ الإخراج، ومساعدة المتدربات على إنتاج أفلامٍ عالية الجودة من ناحية الصورة وتقنية الإضاءة، وإنتاج أربعة أفلام عالية الجودة والفكرة.

* كما نفذ "المركز" دورةً تدريبيةً بعنوان "التصوير والمونتاج الرقمي" بواقع (50) ساعة تدريبية مستهدفة (15) إعلامية، وهدفت الدورة إلى تطوير قدرات المشاركات في مجالي التصوير والمونتاج واستخدام الكاميرات وبرامج المونتاج.

ورشات عمل

* وفي إطار الجلسات الثقيفية التي تسبق إصدار مجلة "الغيداء"، نفذ "المركز" جلسة تسبق العدد (39) حول "الأملاك الأثرية وعلاقتها بالمرأة الفلسطينية" باستضافة الباحث في الجغرافية التاريخية "سليم المبيض" وبحضور لفيف من الإعلاميين/ات والمهتمين/ات.

وكان هدف الجلسة حرص "المركز" على ضرورة لفت الانتباه لأهمية الآثار الفلسطينية، وشحذ همم الإعلاميين/ات للمعالجة والمتابعة العميقة لموضوع التراث الفلسطيني والتركيز على النساء للتعرّف على تجاربهن وحفظ إرثهن النضالي والتاريخي، ورصد وتوثيق قصص النساء المشوّقة في تاريخنا القديم.

* ونفذ "المركز" مجموعة عمل مركزة، لتقديم أفضل الأفكار لإعداد قائمة عن الكتب والدراسات والتقارير البحثية التي تهتم بقضايا المرأة الفلسطينية في كافة المجالات، وهو ما يسمى باللغة اليونانية "البيبليوغرافيا" لمعرفة القضايا الأكثر تركيزاً في الكتابات حول المرأة الفلسطينية، على أن تكون الفترة الزمنية المقترحة لإتمام التوثيق من بداية عام 2000 حتى نهاية 2011" وحضره عدد من الباحثين/ والمهتمين/ات.

* كما نفذ "المركز" ورشة عمل حول "دراسات بحثية في قضايا المرأة الفلسطينية" بحضور عدد من الباحثين / والأكاديميين /ات ومثلين /ات.

وجرى خلال الورشة مناقشة بحثين تناولا قضايا المرأة الفلسطينية، وكان البحث الأول للباحثة "مريم المزين" حول "المضمون الاجتماعي والسياسي للخطاب النسوي الفلسطيني في الفترة من 1994-2010" دراسة تحليلية لفكر الحركة النسوية في محافظات غزة"، والبحث الثاني للباحث "غسان الشامي" الذي تناول "دور المرأة الفلسطينية في قطاع غزة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي (1967 م-1993 م)".

* كما نفذ "المركز" (40) ورشة عمل حول "قضايا المرأة والجندر"، واستهدفت (1309) طالب/ة جامعي/ة من كافة التخصصات عقدها (20) طالب/ة جامعي/ة ممن تلقوا تدريباً مسبقاً، وكان الهدف من الورشات المساهمة في توعية وتثقيف الطلاب/ة الجامعيين/ات بقضايا "المرأة والجندر".

* ونفذ "المركز" عشرين ورشة عمل، وذلك في إطار أنشطته الرامية إلى توعية الرجال والنساء على حدٍ سواء بقضايا المرأة والجندر، حيث استهدفت هذه المرة (500) رجل من أرباب البيوت للهمّشة وذلك بالتنسيق مع المؤسسات القاعدية في كافة مناطق قطاع غزة.

وكان أهم ما نُوقش: العنف ضد المرأة، المشاركة السياسية، الزواج المبكر، حقوق المرأة، دور المرأة في المحافظة على السلام والمصالحة الاجتماعية.

البرنامج الإذاعي "المرأة والمجتمع"

* واصل "المركز" تنفيذ حلقاته من برنامجه السنوي "المرأة والمجتمع" بالتعاون مع "إذاعة الإيمان" وعلى شرف "يوم العمال" نفذ "المركز" الحلقة الثالثة بعنوان "واقع العاملات في رياض الأطفال" أواخر شهر إبريل، وتناولت الحلقة عدة محاور أهمها: دور النقابة في تنظيم عمل العاملات في رياض الأطفال، أبرز المشاكل التي تواجه العاملات في رياض الأطفال ودور الحضانة، تفعيل قانون العمل للعاملات في هذا القطاع، الأجور وعقود العمل، أفكار إنشاء دور حضانة داخل المؤسسات والوزارات.

* أما الحلقة الرابعة: فكانت على شرف "اليوم العالمي لحرية الصحافة" بعنوان "واقع الصحفيات في فلسطين-همومهن

واجازاتهن" نُفذت أوائل شهر مايو، وتناولت الحلقة محاور عديدة منها: الإشكالية التي تعاني منها الإعلامية الفلسطينية، النظرة السلبية للإعلامية، أبرز المضايقات التي يفرضها المجتمع على المرأة العاملة في حقل الإعلام، حماية الإعلامية عبر القوانين، واستضافت الحلقة عدداً من المختصين/ات من خارج "المركز" أثرَوْا الحلقة بالحوار والنقاش.

* في ما نفذ "المركز" الحلقة الخامسة أواخر شهر مايو، وكانت بعنوان "واقع الصحة النفسية للنساء" وتناولت الحلقة محاور متنوعة أهمها: مفهوم الصحة النفسية عند النساء، الفرق بين الحالة النفسية والمرض النفسي والمزاج، أسباب إصابة المرأة بالمرض النفسي، تغير نظرة المجتمع تجاه المرض النفسي، أسباب عزوف المرأة عن الذهاب للطبيب النفسي، الأجواء السرية خلال جلسة العلاج، واستضافت الحلقة عدداً من الأخصائيات النفسيات.

* كما تم تنفيذ الحلقة السادسة أوائل شهر يونيو بعنوان "المرأة والتنمية المجتمعية" وتناولت الحلقة محاور متنوعة أهمها: مفهوم التنمية المجتمعية، أثر الحصار على سير عملية التنمية، أبرز التحديات التي تواجهها التنمية المجتمعية في قطاع غزة، المشاركة الفاعلة من قبل المواطنين في البرامج التي تنفذها المؤسسات، النهوض بالمرأة الفلسطينية من خلال عملية التنمية في جميع المجالات، إدماج النوع الاجتماعي في عملية التنمية المجتمعية، واستضافت الحلقة عدداً من المتخصصين/ات.

* ونفذ "المركز" الحلقة السابعة منتصف شهر يونيو وكانت حول "المرأة والتنمية الاقتصادية" واستضافت الحلقة عدداً من المتخصصات من داخل "المركز" وخارجه أثروا الحلقة بالنقاش، وناقشت الحلقة: مفهوم التنمية الاقتصادية وأهدافه، مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية، القيود الاجتماعية التي تحدُّ من مشاركة المرأة في البناء الاقتصادي بفعالية، علاقة النساء بمؤسسات الإقراض العاملة في قطاع غزة، تلقي المرأة التدريبات اللازمة لزيادة المهارات لإدماجها في سوق العمل.

إصدارات

* العدد الثامن والثلاثون من مجلة "الغيداء" كان من أكثر الأعداد المميزة التي أصدرها "المركز" بمناسبة "يوم المرأة العالمي" (الثامن من آذار) وهو العدد الأول للعام 2012، وكان ملفها الرئيس حول "إشراقات وقصص نجاح للمرأة الفلسطينية والعربية" واحتوى العدد على موضوعات متنوعة منها: عيد الأم، فلسطينية تكتشف مسكّن آلام بدون أعراض جانبية، أول فتاة تفتتح محلاً للجولات، أول مالكة لشركة إلكترونية في غزة، مزارعات المناطق الحدودية، أصغر طبيبة في العالم، فرقة غنائية نسائية، عندما يعمل الرجل طباخاً، يوم الأرض. وتم توزيع حوالي (900) من العدد على المؤسسات الإعلامية والحقوقية والنسوية، ومكاتب الصحافيين والصحافيات في مختلف أنحاء قطاع غزة، إلى جانب نشر العدد بأكمله على الموقع الالكتروني الخاص بمركز شؤون المرأة.

التغطية الإعلامية لنشاطات "المركز"

* التغطية الإعلامية لنشاطات "المركز" تطورت بشكل ملحوظ وشهدت انتشاراً واسعاً في مختلف وسائل الإعلام (الجرائد- المواقع الإخبارية- الإذاعات- الفضائيات) المحلية والعربية والفلسطينية، واستمرت التغطية لفعاليات "المركز" عبر مختلف فنون التحرير الصحفي لاسيما التقرير و"الفيتشر- القصة الإخبارية"، حيث تم نشر أكثر من (30) مادة إعلامية، وقامت أكثر من وسيلة إعلامية في قطاع غزة والضفة الغربية بمعالجة نفس الموضوعات التي يتم ذكرها بالأخبار والتقارير الصحفية التي تصدر عن "المركز".

أفلام

* نظم "المركز" يوماً سينمائياً في محافظة جنوب قطاع غزة، وعُرض خلاله ثمانية أفلام تسجيلية نسوية من إنتاج "المركز".

ويأتي هذا اليوم السينمائي في إطار عرض أفلام مهرجان "بعيون النساء" الذي عُقد نهاية العام الماضي، و سُينقل إلى كافة مناطق القطاع ضمن أيام سينمائية خاصة لكل منطقة.

ويُعتبر "نوعية النساء الفلسطينيات بقضايا تخصّ المرأة" أحد أهداف الأيام السينمائية.

وكان الهدف من نقل مهرجان "بعيون النساء" إلى كافة المناطق هو نقل تجربة المخرجات الفلسطينيات والتعريف بهن، ومناقشة قضايا مهمّة من خلال الأفلام مثل: الفقر، العنف ضد المرأة، عمل المرأة، المرأة والحصار، و العادات والتقاليد في المجتمع الفلسطيني وأثرها على واقع النساء.

شبكة اليمامة للإعلاميات الفلسطينيات والعربيات

*مع مرور عام على تأسيس "شبكة اليمامة للإعلاميات الفلسطينيات والعربيات" لا تزال "الشبكة" تواصل أنشطتها وفعالياتها باستهداف الصحفيات الفلسطينيات لمدّ جسور التواصل وتبادل الخبرات بين الإعلاميات في الداخل والخارج، ولتكون "الشبكة" سفيرة قضايا المرأة الفلسطينية والعربية في المحافل الإعلامية العربية والدولية.

وفي إطار أنشطة "الشبكة" نفذّ "المركز" جلسة نقاش باستضافة الصحفي "كارل إشكمبري" (من مالطا) بحضور لفيف من الإعلاميين والإعلاميات والمهتمين والمهتمات، شددوا خلالها على ضرورة تقوية الرسالة الإعلامية الفلسطينية لتغيير الصورة السلبية عن الفلسطينيين في العالم ولتحاكي الرسالة العالم أجمع، إضافةً إلى رصد كافة أوجه حياة الفلسطينيين بشكلٍ موضوعيٍ بعيدٍ عن التحيّز. وهذه الجلسة هي أول جلسة لهذا العام في إطار أنشطة "الشبكة"، وتهدف إلى تبادل الخبرات بين الصحفيين/ات الأجانب والعرب من جهة وبين الصحفيين في قطاع غزة، ولنثري النقاش بينهم/ن.

مشاريع

مشروع "رفع مستوى الوعي المجتمعي حول العنف الأسري"

* اختتم "المركز" المرحلة الأولى من مشروع "رفع مستوى الوعي المجتمعي حول العنف الأسري" الممول من "وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين" (الأونروا) من خلال مشروع "مبادرة النوع الاجتماعي" بالتعاون مع (15) مؤسسة نسائية وشبابية من كافة مناطق قطاع غزة، بتنفيذ (120) جلسة، استهدفت (3) فئات مختلفة من كافة مناطق القطاع (فئة النساء وفئة الرجال وفئة العائلات) كل فئة تتكون من (5) مجموعات، شاركت في (8) جلسات توعوية وتثقيفية، تديرها مجموعة من الميسرين/ات ذوي/ات الخبرة في مجال العمل المجتمعي والقانوني.

وهدفت الجلسات إلى توعية المجتمع الفلسطيني بمفهوم العنف والعنف الأسري والعنف المبني على أساس النوع الاجتماعي وأسباب انتشار العنف، ومهارات الاتصال والتواصل، احتياجات الحماية من العنف، إضافة للجلسات القانونية التي تناولت الاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية الفلسطينية: حيث النصوص الموجودة فيها والثغرات التي تتطلب العمل عليها، وتعلّم مهارات حياتية جديدة تمكّن المشاركين من كلا الجنسين من التواصل الجيد وحلّ المشكلات داخل الأسرة من أجل التوصّل إلى مجتمعٍ خالٍ من العنف.

مشروع "قيادات شابة"

* وفي إطار مشروع "قيادات شابة" بالشراكة مع "وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين" "الأونروا" والذي يستهدف الخرّيجات الجامعيات في جميع محافظات القطاع: بدأ "المركز" بالعمل في المرحلة الثانية من المشروع حيث تمّ استهداف (150) خرّيجة جامعية

من خلال (5) مؤسسات محلية من كافة مناطق قطاع غزة.
وشملت المرحلة (3) دورات تدريبية (مهارات قيادية وإدارية وكانت بواقع 60 ساعة تدريبية تدريب لغة انجليزية بواقع 40 ساعة، تدريب حاسوب بواقع 32 ساعة).
كما تمّ تنفيذ (20) مبادرة شبابية، قيمة كل منها 280$، وحالياً يجري تنفيذ (14) مبادرة قيمة كل منها (1000)$، وتمّ ترشيح (68) خريجة للتدريب العملي في مؤسسات مختلفة بمكافأة مالية قيمتها 100$ لكل خريجة.

مشروع "تعزيز الوصول للعدالة في المناطق المهمّشة في قطاع غزة"

★ وبهدف تمكين خريجي/ات كليّات الحقوق في قراءة القانون الفلسطيني من منظور جندري، اختتم "المركز" دورةً تدريبية حول "قراءة القانون الفلسطيني من منظور جندري" بواقع (40) ساعة تدريبية لمدة (6) أيام، بحضور (70) محامي/ة، في إطار مشروع "تعزيز الوصول للعدالة في المناطق المهمّشة في قطاع غزة" الممول من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي U NDP.
وتناولت الدورة موضوعاتٍ متنوعةً أهمها: الجندر، القوانين

الفلسطينية (قانون الأحوال الشخصية، قانون العمل، قانون العقوبات، العنف ضد المرأة، الاتصال والتواصل، وإدارة الوقت).
وفي إطار المشروع نفذ "المركز" (12) ورشة قانونية استهدفت (352) سيدة، و(8) ورشات توعية اجتماعية ونفسية، استهدفت (253) سيدة من كافة مناطق القطاع.
كما نفذّ "المركز" (49) استشارة قانونية، و(26) استشارة نفسية اجتماعية، وعمل على التمثيل القانوني في المحاكم لـ(أربع) قضايا.

مشروع "تطوير قدرات المؤسسات النسوية في مناطق قطاع غزة"

★ وبدأ "المركز" تنفيذ مشروع "تطوير قدرات المؤسسات النسوية في مناطق قطاع غزة" الممول من مؤسسة "كفينا تل كفينا" السويدية، بتنفيذ دراسة الاحتياجات الخاصة لـ(14) مؤسسة من المؤسسات النسوية القاعدية التي تمّ تحديدها من قبل "المركز" وأكدت الدراسة على أهمية توثيق أعمال تلك المؤسسات في مجال الإعلام، وإدخال ومعالجة بعض المفاهيم باللغة الانجليزية داخل عمل المؤسسة، والاهتمام أكثر بإدارة نظم المعلومات، إلى جانب ضرورة تجنيد الأموال ومهارات كتابة مقترحات مشاريع، والتدريب في المهارات الإدارية والقيادية.
وهدفت الدراسة إلى تحديد أهم الدورات التي يحتاجها موظفو المؤسسات النسوية القاعدية المحلية التي تمّ اختيارها في مجال الإدارة؛ من أجل الارتقاء بأدائهم الإداري لتحسين مستوى الخدمات المختلفة التي تقدمها تلك المؤسسات للمجتمع، حيث سيعقد "المركز" دورةً تدريبيةً بواقع (80) ساعة لـ(34) موظف/ة من تلك المؤسسات، وستتناول الدورة موضوعات متنوعة منها: الجندر والإعلام، التخطيط، نظم المعلومات، الفهرسة، حفظ الملفات، تجنيد الأموال ومهارات كتابة مقترحات المشاريع، والتدريب في المهارات الإدارية والقيادية.

مشروع "حق المرأة في الميراث"

★ وفي إطار مشروع "حق المرأة في الميراث" الذي ينفذه "المركز" بالشراكة مع "جمعية الشبان المسيحية بالقدس" و"جمعية المرأة الفلسطينية" العاملة للتنمية "بالضفة الغربية، وبتمويلٍ من الاتحاد الأوروبي عبر مؤسسة المساعدات الدنماركية DCA، نفذّ "المركز" خمس حملات ضغط ومناصرة، وهدفت الحملات إلى إحداث تغيير في الرأي العام لدعم حقّ المرأة في الميراث، والتأثير كذلك على صنّاع القرار لاتخاذ إجراءات من شأنها دعم النساء وتمكينهنّ من الحصول على حقوقهن في الملكية بشكلٍ عام وخاصّة حقّهن في الميراث.

★ واختتم "المركز" تنفيذ حملة "الميراث حق .. للحرمان لا" بتنفيذ إعلان إذاعي (سبوت) الذي تمّ بثه عبر ثلاث إذاعات محلية، وفي إطار الحملة نُفذت (20) ورشة توعوية، وشهدت الحملة (25) قصة نجاح لنساء طالبن بحقوقهن في الميراث، حصلت 10 منهن على ميراثهن، فيما ما زالت الباقيات يطالبن. كما ساهمت في رفع الوعي لدى النساء بحقوقهن في الميراث، وعملت على خلق حالة من الحوار والنقاش في الشارع حول قضية حرمان النساء من حقوقهن، بحيث أصبحت هذه القضية هي حديث الناس في المنطقة.
وكان من أهم التوصيات التي خرجت بها الحملة ضرورة العمل مستقبلاً من أجل تسريع إجراءات المحاكم في القضايا المتعلقة بالميراث وخاصة للنساء، وكذلك العمل على ضمان تنفيذ هذه القرارات، وضرورة العمل مع خطباء وأئمة المساجد كي يأخذوا دورهم في تذكير الناس بحرمة منع النساء من الحصول على ميراثهن، وأن الرجل والمرأة في ميزان الله لا فرق بينهما.
كما عقد "المركز" لقاء طاولة مستديرة بعنوان "دور القضاء العشائري والقانوني في تمكين النساء من الحصول على ميراثهن" وشهدت أيضاً حضوراً لعدد من النساء المحرومات من الميراث، خرجت

بمجموعة توصيات أهمها: ضرورة عقد لقاءات متواصلة بين رجال الإصلاح والمحامين/ات، لإيجاد آلية مشتركة لمساعدة النساء المحرومات من الميراث.
كما دعا الحضور إلى عقد دورة تدريبية حول الجندر لرجال الإصلاح، بهدف دمج مفهوم النوع الاجتماعي في التحكيم العشائري، والدعوة إلى إيجاد آلية تعاون بين القانونيين ورجال الإصلاح في قضايا حقّ النساء في الميراث. ●●

على موعد..!

خالد جمعة

ريم أبو جبر..
المدينة تحرس أبناءها

إمرأةٌ من سيولِ الأمنيات النابضة، تخبئُ في صمتها حركةُ النارِ في سعيها الدائمِ لصهر خاس الليل، لتخرجَ منه قطعةً من الفنّ والفرح لأجل أطفالٍ كادوا أن ينسوا معناه، وحينَ تكونُ هناك؛ نعرفُ أنّ المدينةُ تحرسُ أبناءها دون كثيرٍ من الكلام.

"ريم أبو جبر".. تلك المرأة التي تخرج من وردةِ النار لتدخل حريّةُ الحلم، وتُبدّل لونُ العتمة الهائل في الطرقات غير المعبّدة، تشعلُ شمعتها في هبوب الريح، تسرقُ نوراً للمكان من عين المكان، وتمضي حاملةً فكرتَها دون أن تنظرَ خلفها، إنها فلسطينيةٌ بالمعنى الناريّ للكلمة، وإنسانةٌ بالمعنى النهريّ للكلمة، "ريم" هي مزيجٌ من النار والماء، والمستفيد من هذه الخلطةِ العجيبةِ هو الطفل في كلّ الأحوال، فمن أجله تؤجّلُ "ريم أبو جبر" روحَها، ومن أجلهِ تخبّئُ عمرَها في خزانةٍ في آخر الرواق، وتقولُ كلاماً يتحوّلُ في لحظةٍ إلى لحمٍ ودم، يمشي في الطرقات، أو على رفوف الكتب ..!

عرفتُ "ريم أبو جبر" في أواسط التسعينات؛ حين كانت تعمل في مكتبة المركز الرئيسي للأونروا في غزة، ودون أدنى قدرٍ من المجاملة، فقد عرفت فيها مقاتلةً عنيدةً من أجل طموحٍ لم أشعر به يوماً يخصّها وحدها، دائماً كان طموحُها مرتبطاً بالآخرين، "ريم" لا تتمنّى وهي تجلس فوق كرسي فخمٍ تحت مكيّفِ الهواء؛ "ريم" تتحرّك في محيطٍ لا ينتهي من الأسئلة، ودائماً تتحرك خارج منطق المستحيل، وداخل منطق حبّها العميق لكلّ رملةٍ في مدينتِها؛ التي ما زالت معلقةً على رفوف الأفكار الجاهزة والأحكام المسبقة.

فرحتُ وحزنتُ معاً حينَ أهدتها الجمهورية الفرنسية وسام الاستحقاق "وسام فارس" من الدرجة الثالثة، قدّمه لها القنصل الفرنسي نيابةً عن رئيس الجمهورية الفرنسية.

فرحتُ؛ لأنّ "ريم أبو جبر" تستحق هذا الوسام، إن لم أقل إنّ الوسام ذاته يستحقها، وحزنت؛ لأنّ التكريم جاء من الرئيس الفرنسي؛ لماذا لم تُكرّم "ريم" فلسطينياً؟!

ووسط هذا الفرح الذي شعرت به في عينيها؛ أحببتُ أن أكتب عنها، أن أقولُ لها على الملأ ما كنت أقوله لها دوماً فيما بيننا: "أنت رائعةٌ يا صديقتي، وسيعرف الآخرون مدى روعتك عاجلاً أم آجلاً.."

لكنّ الفرنسيين عرفوا ذلك- على ما يبدو- قبل أن يعرفه الفلسطينيون..!

أرسمُ لك خيمةً تليقُ بكِ، عنواناً لما أعتبره "كومي الخاص" فنجاحك يرسمُ جزءً من نجاحات المشروع الذي يمتدّ في أرواحٍ من يسيرون على نفس النهج، أولئك الذين يقدّمون كلّ شيءٍ دون انتظار أيّ شيء، وحينَ تعملين -فيما يجلسُ الجميع في دائرة الشكوى من الظروف والحال- فإنما ترهقينهم، لأنّ ذلك وحده ما يعرّيهم أمام ذواتهم، ويقول لهم إنه "من الممكن صناعة الجمال والحبّ والمعرفة دون كثيرٍ من التذمر" وحين ينظرون إليك بعيدةً جداً في الأمام؛ سيعرفون أية رفقةٍ فقدوا في دربهم المعتم والطويل والمؤجّل.

إحتفظي بنارك وقدسية فكرتك، وكوني على ثقةٍ دائماً أنّ المدينةُ وإن بدت في لحظةٍ عدوانيةً ومستفزةً إلى آخر المدى؛ إلا أنني أراها وهي تحفرُ نايَها في القصب، وترتبُ أقمارَها كي تحرسَ أبناءها الجميلين، وأنت -دون محاباة- واحدةٌ منهم..!●●